

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الملك في الشعر الجاهلي

إعداد

مُهَيِّة عبدالرحيم خضر ناصيف

إشراف

الدكتور إحسان الديك

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس في فلسطين.

2006م



المك في الشعر الجاهلي

إعداد

مُهَيَّة عبدالرحيم خضر ناصيف

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2006/11/13م وأجيزت.

التواقيع

أعضاء لجنة المناقشة

- الدكتور إحسان الديك/ مشرفاً

- الأستاذ الدكتور إبراهيم الخواجا/ ممتحناً خارجياً

- الأستاذ الدكتور عادل أبو عمشة/ ممتحناً داخلياً

الإهداء

- إلى روح والدي الذي علمني كيف يكون البذل والعطاء، ورحل بجسده قبل أن يراني كما أريد، وما تزال روحه تحرسني من جنان الخلد، وتمدني بالأمل.
- إلى التي تسكنني شغاف قلبها، وتسكب فيّ رشقات حنانها، فدعواتها سرّ ناجحي، إلى أمي الغالية.
- إلى الذي شاركني هذا الحلم، وتحمل في سبيله ما لا يعلمه إلا الله، فأعانني بصبره وسعة صدره على تحقيقه، إلى زوجي الغالي.
- إلى أعلى من في الكون، حلمي وأملي، إلى أبنائي الأحباء، من عزفوا على وتر قلبي أنشودة الحب، ماما، رغم انشغالي عنهم بهذا البحث.
- إلى الذين امتزج دمي بدمهم، وسعادتي بسعادتهم، إلى إخوتي وأخواتي.
- إلى بسمة الفردوس غاليتي حنين.
- إلى صديقتي الغالية، نصفى الآخر، الزميلة بسمة كامل.
- إلى والدي الروحي، وأستاذي الفاضل، الأستاذ سميح مصطفى الأعرج، رئيس قسم الإشراف التربوي في مديرية تربية سلفيت، من أعانني، وعلمني كيف يكون الجد والاجتهاد، وكيف يكون الصبر والعطاء.
- إلى ذوات القلوب البيضاء، اللواتي وجدت فيهن الأسرة، والمحبة والصدقة، معلمات مدرستي، وطالباتي، أسرة المدرسة.
- إلى كل من ساعدني.

مع الحب.

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل شكري وعظيم امتناني لأخي وأستاذي الفاضل، الدكتور إحسان الديك، فقد تولاني بصادق رعايته، وسعة صدره، وجاد عليّ بوقته وجهده، فصدرت في بحثي هذا عن فكره وذوقه، جزاه الله عنا وعن طلبة العربية خير جزاء.

كما أتقدم بعظيم شكري وعرفاني لوالدي الروحي، وأستاذي الفاضل الأستاذ سميح مصطفى الأعرج رئيس قسم الإشراف التربوي في مديرية تربية سلفيت، فقد تعهدني معلمة للغة العربية، حين كان مشرفي التربوي، ورعاني وأنا مديرة وطالبة علم، وقد شرفني بأن دقق رسالتي هذه لغوياً - ما وسعه الجهد - ومنحني من وقته وجهده، ما شدّ به أذري، وصلّب عودي، وجعلني أقوى على إتمام رسالتي، جزاه الله خيراً.

وأتقدم أيضاً بشكري الجزيل للمهندس أحمد تيسير عيد مهندس الحاسوب في مديرية تربية سلفيت، على ما بذله من جهد، ولقيه من عناء، فقد كان لجهده الطيب الأثر الكبير في استدراك وتصويب ما وقع في نسخة الرسالة من أخطاء مطبعية، وما احتاجت إليه من تنسيق فني، جزاه الله خيراً.

وختاماً جزيل الشكر لعضويّ لجنة المناقشة اللذين تفضلاً بقبول قراءة رسالتي هذه ومناقشتها.

جزاهم الله جميعاً كل خير.

فهرس الموضوعات

أ	الإهداء
ب	شكر وتقدير
ج	المحتويات
هـ	الملخص
1	المقدمة
4	الفصل الأول:
5	تمهيد: مفهوم الملك
7	المبحث الأول: الملك في الموروث الإنساني
23	المبحث الثاني: الملك في الموروث الجاهلي
34	الفصل الثاني: الملك في أغراض الشعر الجاهلي
34	1. المديح
38	أ. الكرم والجود
44	ب. القوة والشجاعة
47	ج. السيادة والمكانة
55	2. الحكمة
58	3. الهجاء
58	أ. الظلم والجور
61	ب. الإتاوات والضرائب
61	ج. التفرقة بين القبائل
65	4. الرثاء
73	5. الفخر
83	6. الاعتذار
93	الفصل الثالث: أبعاد صورة الملك في الشعر الجاهلي
95	1. البعد الديني
112	2. البعد النفسي
121	3. البعد الاجتماعي
133	الخاتمة
135	المصادر والمراجع
b	ملخص الأطروحة باللغة الانجليزية

الملك في الشعر الجاهلي
إعداد
مُهَيِّة عبدالرحيم خضر ناصيف
إشراف
الدكتور إحسان الديك

الملخص

يدور هذا البحث حول "الملك في الشعر الجاهلي"، حيث جاء في مقدمة وثلاثة فصول، عرضت في المقدمة إلى أسباب اختيار هذا البحث، وإلى أهم المصادر والمراجع التي سيرتكز عليها، حيث جعلت الفصل الأول في تمهيد ومبحثين، تحدثت في التمهيد عن معنى كلمة ملك في اللغات القديمة، ومعناها في العربية، وتحدثت في المبحث الأول عن الملك في الموروث الإنساني، فوجدتهم قد نظروا إليه نظرة تقديس وإجلال، فكان إلهاً أو شبه إله، وخلصوا عليه بعداً أسطورياً مكن الملوك من السيطرة على ثروات تلك الأمم، وضمن طاعتها لهم. ولم أجد نظرة الجاهليين في المبحث الثاني "الملك في الموروث الجاهلي" تختلف كثيراً عن نظرة الأمم الأخرى له، حيث تكاد تتطابق نظرتهم إليه مع نظرة تلك الأمم، وخلصت إلى أن البشر بعامة يحتاجون إلى قوة تسيطر على الكون، يدينون لها بالولاء، ويلوذون بها مما يعانون، فكان الملك هو تلك القوة، كان مقدساً بالنسبة إليهم، حيث مثل لهم أيضاً الأمن والأمان.

أما الفصل الثاني، فقد تناولت فيه الملك وأعراض الشعر الجاهلي، حيث وجدت الشعراء قد تناولوا الملك في أشعارهم وعرضوا له في قصائدهم، فجاء في المديح، والرثاء، والهجاء، والحكمة، والاعتذار، والاستعطاف، ممزوجاً بالقضايا الحياتية الأخرى، ممثلاً تمثيلاً صادقاً للحياة الجاهلية.

وفي الفصل الثالث تناولت أبعاد صورة الملك في الشعر الجاهلي، فوجدت لهذه الصورة ثلاثة أبعاد، حيث زخرت في بعدها الديني بالمعتقدات الدينية والقصص القديم الموروث، فصوّروا الملك إلهاً أو شبيهاً بالإله، وصوّروه بالشمس والقمر، وسجلت في بعدها النفسي أحاسيس الشعراء وما رأوه في الملك من خيرٍ فأحبوه، وما توجسوا فيه من شرٍ فخشوه، أما

البعد الاجتماعي، فقد وجدت للملك فيه صورتين: في الأولى كان رمز القوة، والبطش، والمكانة العالية، وفي الثانية كان رمز العطاء، والخير، والتسامح، والرفاهية، حيث امتزجت الصورتان بالواقع الاجتماعي للجاهليين، وعبرت عنه بصدق.

وفي الخاتمة أجملت ما توصلت إليه في دراستي من نتائج، وأتبعتها بثبت للمصادر والمراجع، فرتبتها حسب الحروف الهجائية.

المقدمة

يظن كثير من الناس أنّ الأشياء تموت بانقضاء زمانها، وأن لكل منها مدة صلاحية يصبح بعدها بلا جدوى، إلا ثقافة الأمم وآدابها، فهي لا تفتى ولا تنتهي، ولكن الأجيال تختزنها في اللاوعي لتصدر عنها، كيف لا وهي نتاج أجيال وأجيال، وخلاصة تاريخ وأمة، صاغها الشعراء في شعرهم قصائد حية نابضة، أسكنوا فيها مشاعرهم وأحلامهم.

ولأن الشعر الجاهلي كذلك، ولأنه المثال الذي احتذاه الشعراء اللاحقون في قصائدهم، ولأنه سجل العرب وديوان أمجادهم: فيه عاداتهم وتقاليدهم، وقضاياهم الاجتماعية، وفيه أيام عزهم وحربهم، وفيه عقائدهم وخلاصة ثقافتهم؛ لذا وجدتي أعود إليه؛ لأنهل من معينه، أتصفح فيه حياة العرب منثورة في ثناياه.

والملك هو رأس الهرم في حياة الأمم السابقة وحياة الجاهليين، كان المورد الذي وفدوا إليه وتحلقوا حوله، واختصروا فيه حياتهم وتاريخهم، فصار عنوانهم، له مكانته السامقة، يفرحون بفرحه، ويحزنون بحزنه، وينطلقون سهاما لتحقيق أحلامه، ويبذلون أنفسهم في سبيل رضاه، ألم يعتقدوا أنه الملك الإله، أو نائب الإله؟! أليس هو من يرسل المطر ويهب الحياة والرياح؟! أليس هو من يشفي بدمه المرضى ويبرئ السقيم؟ ألم يكن هو سيدهم في الحياة، وسيكون سيدهم - كما اعتقدوا - بعد الحياة?!.

ولأن الملك كان كل هذا بالنسبة للقدماء، فقد وجدته موضوعا يستحق الدراسة والبحث، فعدت إلى هذا المخزون الشعري الجاهلي، استقي منه ما أريد وأدلل على ما ذهبت إليه.

تساؤلات عديدة قفزت أمام ناظري وأنا أستعد لهذا البحث منها: ما الأسباب الكامنة وراء المكانة التي حظي بها الملك؟ وما أثر هذه المكانة في شعر الشعراء الجاهليين؟ وكيف بدت صورة الملك في أشعارهم؟ وإلى أي مدى تتسجم هذه الصورة مع الموروث الإنساني وعقائد الأمم الأخرى؟ وهل صورة الملك هذه تعبر عن عقلية الإنسان الجاهلي، بحيث يستطيع القارئ

من خلالها أن يقرر انتماء الشعر إلى عصره؟ وأخيراً ما هي مواضع ورود الملك في الشعر الجاهلي؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات كان لا بدّ لي من التعرف إلى نظرة الشعوب القديمة للملك، والمقارنة بينها وبين نظرة الجاهليين له، ولا يتيسر ذلك إلا بالعودة إلى المصادر والمراجع التي بُنيت في ثناياها المادة بهدف استجلاء تلك النظرة، هذه المصادر والمراجع التي كان أهمها:

الكامل في التاريخ لابن الأثير، وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة بن الحسين الأصفهاني، والتيجان في ملوك حمير لوهب بن منبه، ونشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ، إضافة إلى المجاميع الشعرية.

أما المراجع الحديثة فكان أهمها: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور محمد جواد علي، والمفصل في أديان العرب قبل الإسلام للمؤلف ذاته، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للألوسي، والأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام للدكتور أحمد اسماعيل النعيمي، وكتاب الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري للدكتور علي البطل، إضافة إلى المعاجم العربية والتي أثبتتها جميعها في قائمة المصادر والمراجع، حيث عنيت معظم هذه الدراسات بالشعر الجاهلي على قاعدة ارتباطه بالأسطورة والفكر والمعتقدات الدينية، كما عنيت بالأسطورة من منظور الصورة الفنية في الشعر الجاهلي قبل الإسلام.

وقد جاء البحث في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة. ففي التمهيد للفصل الأول وقفت عند مفهوم كلمة الملك في اللغة العربية واللغات القديمة، ثم تناولت في المبحث الأول: الملك في الموروث الإنساني، وفي المبحث الثاني تناولت الملك في الموروث الجاهلي. ولهذا الفصل أهمية خاصة لأنه الأساس الذي تركز عليه أبعاد صورة الملك في الفصل الأخير؛ لأنّ الفكر الجاهلي متأثر بشكل واضح بالفكر القديم.

وقد خصصت الفصل الثاني للحديث عن الملك وأغراض الشعر الجاهلي فتحدثت فيه عن الأغراض الشعرية التي ورد فيها ذكر الملك: كالمدح، والثناء، والهجاء، والفخر، والحكمة، والاعتذار، والاستعطاف.

وفي الفصل الثالث تناولت صورة الملك في الشعر الجاهلي وأبعادها الدينية والنفسية، والاجتماعية، باعتبار أن الشعر صورة للواقع ومرآة تعكس لنا الحال آنذاك.

وفي الخاتمة سجلت خلاصة البحث وأهم النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت في دراستي المنهج التكاملي أساساً، حيث جاءت الدراسة وصفية، تحليلية، تاريخية، كما يتكئ البحث على المنهج الأسطوري للإفادة من الأساطير والنقوش والمعتقدات القديمة.

وليس لي أن أدعي الكمال في بحثي هذا، ولكنه جهد متواضع يرفع لبنة في صرح العربية، لغة القرآن الكريم، وهو في الوقت ذاته خلاصة ما أسعفني به وقتي ووقت أسرتي -الذي اقتطعته منهم- وما جادت عليّ به المصادر والمراجع، مما توفر لي، وحسبي أنني اجتهدت فإن أحسنت فلي حسنتان وإلاّ كفاني نصيب المجتهدين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،

الفصل الأول

مفهوم الملك في اللغة العربية واللغات القديمة

- مفهوم الملك
- المبحث الأول: الملك في الموروث الإنساني
- المبحث الثاني: الملك في الموروث الجاهلي

الفصل الأول

مفهوم الملك في اللغة العربية واللغات القديمة

دلّت كلمة ملك في اللغة العربية على معانٍ متعددة وإن التقت في معظمها على التملك والسلطان، فالملك "هو الله تعالى وتقدس، ملك الملوك، له الملك وهو مالك يوم الدين، وهو ملك الخلق، أي ربهم ومالكهم، وفي التنزيل: "مالك يوم الدين" (1)، وأما ملك الناس، وسيد الناس، ورب الناس، فإنه أراد أفضل من هؤلاء.

والمُلك: معروف، وهو يذكر ويؤنث كالسلطان، ومُلك الله تعالى وملكوته: سلطانه وعظمته، ولفلان ملكوت العراق، أي عزه وسلطانه ومُلكه، ومُلك القوم فلاناً على أنفسهم، وأملكوه: صيروه ملكاً، والملك من ملك الأرض، ويقال له ملك، والمملكة سلطان الملك في رعيته، ويقال طالت مملكته، وساعت مملكته، وحسنت مملكته (2).

"ومعنى (ملك) الرأي والمشورة والنصيحة، (مَلَك) بمعنى قدّم رأياً أو نصيحة أو مشورة، وذلك في بعض اللغات السامية. وتعني كلمة (شارو) (شرو)، الملك في الآشورية، وهي معنى (الحكيم) في الأصل، أي في المعنى المتقدم، وتعني كلمة (مليخ) (ملخ) أي ملك في العبرانية، الحكيم الذي يقدم رأياً وحكمة ومشورة. إذ كان الملوك بمنزلة الحكماء والقضاة في شعوبهم، ثم تخصصت بالحاكم الذي يحكم شعبه على النحو المفهوم من اللفظة عندنا (3).

وقد وردت لفظة (ملك) في نصوص المسند. وردت على هذه الصورة: (ملكن)، أي (الملك) و (ملكم)، أي (ملك). ووردت على هذه الصورة: (ملك) في النصوص الثمودية واللحيانية والصفوية. و(ملكو) في النصوص النبطية. أما في النصوص العربية الشمالية، فإن أقدم نص وردت فيه هذه اللفظة، هو نص (أم الجمال)، الذي يعود عهده إلى سنة (250) أو

(1) الفاتحة آية 4.

(2) اللسان وتاج العروس، المعجم الوسيط مادة (ملك)

(3) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، دار العلم للملايين، بيروت 1970، 192/5.

(270) بعد الميلاد. وهو شاهد قبر رجل اسمه (فهر بن سلى مرّبي جذيمة ملك تنوخ)، ونص
(النمارة) الذي هو شاهد قبر الملك (امرؤ القيس)، وقد دوّن سنة (328) للميلاد.

ولا نعرف في الزمن الحاضر مكانة ودرجة من يحمل لقب (أخ ملكا) أي (أخي الملك)
الوارد في النصوص النبطية. فلنسا ندري أكانت تعني (وصاية) أم (وزارة) أم مقرباً من الملك،
أم تعني أن حامله من الأسرة المالكة⁽¹⁾.

ولفظة ملك "من الألفاظ العربية القديمة التي ترد في جميع اللهجات العربية كما وردت في
اللغات السامية، وقد تلقب بها ملوك العربية الجنوبية، وتلقب بها ملوك الحيرة وملوك آل غسان،
وملوك كندة، بل طمع في هذا اللقب أمراء وسادات قبائل، أعجبهم فلقبوا أنفسهم به.

وقد أطلق على الملك أسماء كثيرة، فأطلق كلمة "تبع" والجمع تبابعة على ملوك حمير، بل
تطلقها الموارد الإسلامية في بعض الأحيان على كل ملوك اليمن، فهي معنى ملك، ولا يطلقونها
على غيرهم، أي على الملوك الآخرين من ملوك العرب.

كما اصطلح على تسمية كل من مَلَك الحبشة (النجاشي) وكل من مَلَك الروم (قيصر) وكل
من مَلَك الفرس (كسرى)⁽²⁾.

وجرت العادة أن يكون الحكم وراثياً، ينتقل من الآباء إلى الأبناء، ويكون في الابن الأكبر
ابتداءً، كما لم يجد عرب الشمال غضاضة في أن تحكمهم امرأة⁽³⁾.

(1) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 193+192/5

(2) المرجع السابق، 193/5.

(3) المرجع السابق، ج192/5.

وانظر: عبد الخالق عيسى، رثاء الممالك والملوك في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، ص 11 وما بعدها.

المبحث الأول: الملك في الموروث الإنساني

تكاد تجمع الحضارات القديمة على فكرة الملك الأسطورية، هذه الفكرة التي أفاد منها الملوك في حكم الرعية واستنفاد خيرات شعوبها، ولا بدّ للباحث عند الحديث عن الملوكية ومكانتها المقدسة في نفوس المجتمعات القديمة، بوصفها (هبة من السماء)، لا بُدّ له من الرجوع إلى ما تخبرنا به النقوش، والألواح الطينية والأختام الأسطوانية، والرسوم والكتابات، باعتبارها أهم الوثائق التي كشفت عمّا ساد العالم القديم من معتقدات وأفكار ومعارف وعلاقات اجتماعية⁽¹⁾.

وقد أكدت لنا الألواح البابلية والأشورية صحة ما ذهبنا إليه، فقد حملت في ثناياها أسطورة الملك "ايتانا" الذي ورد ذكره في جملة ملوك سلالة "كيش" الأولى، التي كانت أول سلالة حكمت بعد الطوفان، فقد جاء في تاريخ البشرية عهداً لم يعرفوا فيه نظام الملوكية؛ لأن الآلهة - حسب معتقداتهم - لم تعين ملكاً، فكانت شارات الملك من تاج وصولجان مودعة في السماء عند الإله "أنو" ثم هبطت الملوكية من السماء... وكان من بين الملوك القدامى حين هبوط الملوكية، ملك في كيش اسمه "ايتانا"، وكان هذا الملك حسب الأسطورة عظيماً لم ينجب ولداً يخلفه في الملك، فعم الاضطراب في البشر، إذ خاف الناس من عواقب خلو منصب الملوكية بينهم، وتعرضهم بسبب ذلك إلى الشر، ففكر "ايتانا" في الأمر، واهتدى بعد تفكير طويل إلى وسيلة تمكنه من الحصول على ولد له ووصف له نبات في السماء يساعد على الإنجاب، فتضرع إلى الإله الشمس (شمس) بأن يهبه هذا النبات حتى يتمكن من إنجاب خليفة له في الحكم⁽²⁾.

-
- (1) النعيمي أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار سيناء، القاهرة، ط1، 1995، ص79.
- باقر طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، شركة التجارة والطباعة المحدودة، ط2، 1995 ص 384.
(2) النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار سيناء، القاهرة، ط1، 1995 ص80.
- كوننينو، جورج: الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور، ط1، 1986 ص208.
- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص 105.

وتعد هذه الأسطورة أبرز وثيقة لأصل الملك أو الملوكية على السواء، حتى إنّ النظرة إلى الملك في حضارات الأمم الأخرى، لم تخرج عن هذا الإطار بالتفاصيل التي لا تغير من جوهرها شيئاً ذا بال⁽¹⁾، وقد عبرت اللغات السامية عن أهمية الملك، فما كلمة (مولوخ) عند الساميين إلا تحريف لكلمة "ملك" حتى إن كثيراً من ملوك الساميين ادّعوا النسب إلى إلههم بعل أو مولوخ⁽²⁾.

والعراقيون القدماء أيضاً اعتقدوا أن الملكية هبة من السماء، وبالتالي فهي إلهية مقدسة، مقرها أصلاً السماء، ومنها هبطت على إحدى المدن في الأرض، حيث انتقلت بعد ذلك من مدينة إلى أخرى⁽³⁾.

وقد أحاط الناس الملك الأكادي "شولكي" وخلفاءه بهالة التقديس، وكتبوا أسماءهم في بعض النصوص المسمارية مسبوقة بالعلامة الخاصة بالآلهة⁽⁴⁾.

أمّا الفينيقيون فقد اعتبروا عرش الملك مقدساً، والقيم عليه (الملك) أشبه بإله، تحترم إرادته على هذا الأساس، ومخالفته تعني مخالفة الآلهة⁽⁵⁾. وعليه أن يتحلى بمزايا محددة تجعله أهلاً لتولي المسؤولية الملقاة على عاتقه. فعليه أولاً أن يكون منحدرًا من عائلة نبيلة أو من عائلة مقدسة⁽⁶⁾.

(1) النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي، 80.

(2) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 1957 ص25.

- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ص105.

(3) سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك: محاضرات في التاريخ القديم (موجز تاريخ العراق ومصر وسوريا وبلاد اليونان والرومان القديم)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ص68، 69، 180.

- الماجدي، خزعل: إنجيل سومر، منشورات الأهلية، ط1، 1998، ص156، 159.

- الماجدي، خزعل: إنجيل بابل، منشورات الأهلية، ط1، 1998، ص154.

(4) سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك: محاضرات في التاريخ القديم ص112.

(5) صقر، جوزيف: قصة وتاريخ الحضارات العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ص51.

(6) المرجع السابق، ص48.

ويبدو أن بعض ملوك أورشليم الكنعانيين القدماء "لعبوا دور أدونيس في أثناء حياتهم، إذ صح هذا الاستنتاج من أسمائهم مثل "أدوني باصاق"، "أدوني صاداق"، وهما لقبان إلهيان فادوني صاداق معناها سيد البر، وكاهن الله الأعلى كما تسميه التوراة"⁽¹⁾.

ولم يكن الفرعون في حضارة وادي النيل، ممثلاً للإله أو صورة من صورته على الأرض وحسب، وإنما كان إلهاً بالمعنى الدقيق للكلمة، فقد تجسدت فيه الألوهية بشكل كامل، فالملك هو الابن الجسدي الذي جاء من صلب إله الشمس (رع) من جهة، وهو الإله الملك الذي يهب الطاقة والنور من جهة أخرى⁽²⁾.

والفرعون في الحياة إله، فهو ابن رع، وهو عندما يموت يتحول إلى الإله أوزوريس ويبقى في العالم بصفته الإله الحاكم للموتى⁽³⁾.

ويعبر عن هذه الفكرة قولهم: "دخل الإله أفقه، وصعد ملك مصر العليا ومصر السفلى "سهيتري" إلى السماء، واتحد بقرص الشمس، فاندمج في ذلك الذي صنعه"⁽⁴⁾.

وما كان لأحد من المصريين أن ينكر أن الملك قد ولد في هذه الدنيا من امرأة، غير أن أباه إله، ولأن الإله (رع) كان يشعر بمسؤولية تجاه الأرض، فقد كان يتردد على الأرض لينجب لها ملوكها.

(1) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1979، ص29.

(2) الماجدي، خزعل: الدين المصري، دار الشرق للنشر والتوزيع، ط1، 1998 ص165.

- فرانكفورت، هـ: ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا، دار مكتبة الحياة، بغداد، 1960، ص95.
- الخطيب، محمد: الخلود في حضارة مصر القديمة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط1، 1991 ص79.

(3) الماجدي، خزعل: الدين السومري ص139.

انظر: دلو، برهان الدين: حضارة مصر والعراق، بيروت-لبنان: دار الفارابي، ط1، ص76.

(4) الماجدي، خزعل: الدين السومري ص166.

- فرانكفورت، هـ: ما قبل الفلسفة، ص90، 91.

- برهان الدين، دلو: حضارة مصر والعراق ص186.

وقد اعتقدوا أيضاً أنّ الإله يتجسد في شكل ملك حي يهب المنىّ للذي سيصبح فيما بعد ابن (رع) حين ينشد النسل⁽¹⁾. "ففرعون إنما يلدّه الإله الأكبر، متتكرراً في زي الملك الحاكم، ليكون إلهاً يحكم البلاد"⁽²⁾ وهو الملك الإله، وهو لا يحكمنا "بحقه الإلهي فحسب، بل يحكمنا أيضاً بحق مولده الإلهي أيضاً، فهو إله، رضي أن تكون الأرض موطناً له.."⁽³⁾

وذهب المصريون القدماء في عهد السلالة الثامنة عشرة إلى الإيمان بأسطورة مفادها أنّ الملك تكون من اتصال الإله بالملكة، حيث تمثل لها بهيئة زوجها، ووطأها⁽⁴⁾ "في إشارة إلى أنّ الملكية تكون إلهي واجبة التقديس والاحترام والطاعة.

وفي الألقاب التي اتخذها الفرعون كإله العظيم، والإله المحسن، وصانع الأشياء. (رع نب)⁽⁵⁾ تأكيداً لفكرة الألوهية، وربط محكم لها بعالم الآلهة.

وما كلمة فرعون نفسها إلاّ تصحيف في العبرية لكلمة - فير - أو بير - per-al- التي تعني البيت العظيم أو الكون أو العالم الذي يعيش فيه الناس، وهذا تعزيز لفكرة الألوهية التي ارتبطت بالفرعون⁽⁶⁾.

وقد ذهب هنري فرانكفورت إلى أنّ استخدام علامة الذهب بالألقاب الملكية في عصر الأسرات الثلاث إشارة إلى تجسيد طور من ألوهية الملك، هذا الطور الذي لا يفقد لمعانه، وتلك خاصية من خصائص الذهب، وكذلك الشمس⁽⁷⁾.

كان لملك مصر مكانة عظيمة، حيث نظر إليه الولاة بإجلال وتعظيم، فقد كتب إليه أحدهم: "أنا خادمك، والتراب الذي تحت قدميك، والأرض التي تطؤها، وخشب العرش الذي

(1) هـ فرانكفورت: ما قبل الفلسفة ص90.

(2) النعيمي، إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ص80.

(3) المرجع السابق، ص80.

(4) سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك: محاضرات في التاريخ القديم، ص293.

(5) الماجدي، خزعل: الدين المصري، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 1999 ص140.

- سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، دار النهضة العربية، بيروت، 1989 ص53.

(6) الماجدي، خزعل: الدين المصري ص139.

(7) سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ص54.

تجلس عليه، والكرسي الذي تضعه تحت رجلك، إنني حافر جوادك، إنني أتمرغ سبع مرات في تراب قدمي مولاي الملك شمس السماء"⁽¹⁾.

كما كتب أحدهم يقول: "أنا خادم الملك، والكلب الذي يحرس بيته وإنني أحافظ على هذا البلد لمولاي الملك"⁽²⁾.

وواضح من هذين النصين مدى التعظيم والإكبار للملك، ومدى احتقار النفس واستصغارها أمام هذه العظمة.

ولم تكن ألوهية الملك عند العبرانيين استثناء عن الأمم الأخرى، فمن يطلع على تاريخهم سيجد أن أسلافهم كانوا يلعبون دور إله ما، وعلى الأخص أدونيس رب البلاد.

يظهر ذلك في الألقاب التي دعي بها ملوكهم في أثناء حياتهم وفيها "آدوني هاميلخ" أي سيدي أو ربي الملك. وتتجلي قداسة الملك أيضاً في النواح عليه عند موته، فقد كانوا يصرخون (هوي آحي)! (هوي آدون) !، أي (وأخواه، وأرباه)⁽³⁾، ولكن سواء ادعى الملوك العبرانيون بأنهم أدونيس أم لا فإنهم ولا ريب أنزلوا من الناس منزلة لها صبغة إلهية، كمثلين "ليهوه" على الأرض. وما يؤكد ذلك أن عرش الملك الذي كان يسمى بعرش يهوه، كان يمسح بالزيت المقدس ليمنح جزءاً من الروح الإلهية، ولهذا كان الملك يلقب بالمسيح، وهي كلمة معناها "الممسوح بالزيت المقدس"⁽⁴⁾. كان يعتقد أن للملك قوة الشفاء من الأمراض فقد أرسل ملك سوريا رجلاً أبرص إلى ملك إسرائيل ليشفيه⁽⁵⁾.

(1) سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ص54.

(2) نفس المرجع ص79.

(3) فريزر، جيمس: أدونيس، ترجمة جبران إبراهيم جبرا، ص29.

(4) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز ص27.

(5) المرجع السابق، ص32.

ولأن الملك هو المقدس، وهو الخير، فقد اعتقد كثير من الناس في الثقافات المختلفة أن الملك تجسيد لإله الخصب، ومركز لنظام الطبيعة، يتوقف عليه هطول المطر، وخصب الأرض، وتكاثر الحيوان، وتتابع الفصول⁽¹⁾.

ولأنهم كانوا يعتقدون أن الملك إله، له قدرة خاصة ليست لأحد، فقد أملوا منه أن يرسل عليهم المطر، أو ضوء الشمس في الموسم، وأن يساعدهم على نمو المحاصيل، لاعتقادهم أن لديه قوى سحرية معجزة، ويستطيعون بإطاعته من جهة، وبقواه من جهة أخرى إخصاب الأرض ومنح الخير والبركات للأشياء⁽²⁾.

فملك مصر هو من يهب الحياة والخير والخصب فيها، وهو من يرسل الشمس لتعانق الأرض، تلقحها فتجب الخصب. والخصب هو الحياة، وحتى في الطقوس الدينية كانت الحركات تعبر عن هذا، فقد كان الفرعون يدور حول الحقل أربع دورات، وهو طقس ديني يراد به إسباغ الخصب على البلاد، وكى يستمر الخصب لا بُدَّ من الماء، والفرعون هو ضابط المياه التي تخصب الأرض، وصانعها. وهو كذلك بالنسبة للأقطار الأجنبية، يتقربون إليه بالقرايين ليجود عليهم بالمطر، فقد جاء في أحد النصوص أن ملك الحيثيين كان يقدم القرايين للفرعون، وعلامة رضى الفرعون تقبلها، هذا التقبل الذي سيؤدي إلى منحهم المطر، "وإذا لم يتقبل منهم القرايين، فقد حرمت من المطر، لأنَّ المطر تحت سلطان ملك مصر"⁽³⁾.

وفرعون الإله يَأتمر بأمره الكون، فكل ما في الطبيعة مما يتصل برفاه مصر، هو في إمرة فرعون، فهو سيد النسيم العذب، بل إنَّه بصفته الساحر الأكبر يسيطر على القمر والنجوم، فتجيء الأشهر والأيام والساعات في إيقاع تنظيم⁽⁴⁾.

(1) عياد، شكري: البطل في الأدب والأساطير، دار المعرفة، ط1971، ص2، ص114.

- السواح، فراس: لغز عشتار، دار علاء الدين، ط6، ص351.

(2) النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص83.

- الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، دار الساقى، ط1، 1996 ص105.

(3) فرانكفورت، هـ: ما قبل الفلسفة ص98.

- فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز ص36.

(4) فرانكفورت، هـ: ما قبل الفلسفة ص99.

ولم تقتصر فكرة الاستمطار على الفراعنة وحدهم، بل بدأ ملوك حمير ومعين وسبأ قادرين على الاستمطار، وإخضاع الجن لهم، وتسخير الظواهر الطبيعية لخدمة الرعية، وإجبار الجمادات على القيام بالدور المنوط بالحيوانات⁽¹⁾.

وكما أنّ الإنجاب طبيعة الحياة، وتبدل الخلق فيها مؤثر على استمراريتها، هذه الاستمرارية الناتجة من الزواج إذ أنّ القدماء اعتقدوا أنّ دورات الفصول، وفصول الخصب تتم بقرانات جنسية بين الآلهة، تماماً كما تتم القرانات بين الناس أو الحيوان⁽²⁾.

ومن أجل ذلك وتنفيذاً لهذه العقيدة كانت تقام أعياد رسمية للجنس والخصب، يتم خلالها تمثيل الزواج بين الإله والإلهة، ويقوم الملك بدوره في إخصاب الملكة، أي يخصب الملك الإله الأرض. وكى تتم الأمور لا بُدَّ من كاهن يمارس الطقوس الدينية، يتلو دعاءه بهذه المناسبة، دعاء معبراً عن أمله بأن تخصب الأرض، وتكثر الحيوانات. فاستمرارية الحياة هي في هذا الخصب الذي ينقله إلى العالم الفرعون أو الملك.

وقد مثل الزواج المقدس ملك يأخذ دور (دموزي)، في حين تأخذ الكاهنة دور إنانا كما في أسطورة زواج (إنانا ودموزي)⁽³⁾.

ولعل في تاريخ هذا الزواج رمزاً لبداية الربيع، العلامة الواضحة على الخصب، فالسنة السومرية تبدأ في 21 آذار من كل عام، وهو عيد الزكمك الأول، وهو عيد البذار والفرح والربيع⁽⁴⁾ غير أنّ زمن الاحتفال بهذا العيد كان يختلف بين مدينة وأخرى، وبسبب

(1) الماجدي، خزعل: الدين السومري ص158.

- زكي، أحمد كمال: الأساطير، دراسة مقارنة ص97.

(2) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية، دار النهار للنشر، بيروت، 1978 ص250.

(3) الماجدي، خزعل: الدين السومري ص158.

- الماجدي، خزعل: المعتقدات الأمورية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص108.

- علي، فاضل عبد الواحد: العراق، ج1، بغداد 1985 ص211.

(4) الماجدي، خزعل: متون سومر، الكتاب الأول، منشورات الأهلية لعام 1998، ط1، ص203.

اختلاف المواسم بين بلدة وأخرى، وهو إمّا في الشهر الرابع (تموز) وإمّا في الشهر السادس (أيلول)⁽¹⁾.

وإذا كانت أعياد الأكيّو والزكمك السومرية⁽²⁾ تتضمن أداء هذا الطقس الجماعي الكبير، الذي يكون الملك والكاھنة مركزه الأساس، فإن ذلك يجري وفق استعادة دورية منظمة لحدث أسطوري، يعتقد أنه كان وراء إخصاب الطبيعة، والنباتات، والحيوانات، ووراء تكاثر البشر، وازدهار الحضارة⁽³⁾. واستعراض المفهوم الحرفي لكلمة أ- كي - تي "يشير إلى ذلك، ف-أ-كي بمعنى الأرض، و-تي بمعنى يقرب" أو "يستزل" وبهذا يكون المعنى "محل استتزال المطر"⁽⁴⁾.

"واللجوء إلى هذا الطقس من طقوس الزواج الإلهي كان يقرره قادة المدينة، فقد جرت العادة أن ينتظر الكاهن الأكبر - كما يعتقدون في الأسطورة - لمعرفة اسم العريس، بعد أن يكون قد أجرى طقوساً معقدة استعداداً لهذه المهمة، وتكريساً للقدسية التي كانوا يعتقدونها، فقد كان يهبط الوحي باسم الملك الحاكم، وبخاصة وأنّ الحاكم بحكم وظيفته يكون نائباً عن الإله، ووسيطاً دائماً بين الشعب والإله"⁽⁵⁾.

والسنة عندهم تبدأ باحتفالات كبيرة، فالمرحلة الأولى من الزواج المقدس تبدأ بتهيئة القصر لهذا الزواج، فيتم نصب الفراش الذي سيتم عليه الزواج، فراش تخلط به أغصان الأرز وأخشابه، وباقات الأسل، لتبدأ بعد ذلك مرحلة استحمام الإله والملك معاً، وهو نوع من التعميد أو الاغتسال قبل الزواج استعداداً له، ثم تنقل الكاهنة إلى القاعة الخاصة بالزواج، حيث تنتثر الطيوب على أرضها، ليتبعها الملك ويقوم بمضاجعتها في الفراش المقدس⁽⁶⁾. فقد أمر الملك

(1) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية، دار النهار للنشر بيروت، 1978 ص53.

(2) وهي أعياد يتم فيها الاحتفال بالبداية الجديدة للدورة السنوية، ديوان الأساطير، ص199 وما بعدها.

(3) الماجدي، خزعل: الدين السومري ص158.

(4) الشمس، ماجد عبد الله: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2003، ص32.

(5) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية ص258.

(6) الماجدي، خزعل: المعتقدات الأمورية ص108.

- الشمس، ماجد عبد الله: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، ص28، 29.

- علي، فاضل عبد الواحد: حضارة العراق، بغداد ج1، 1985 ص210، 211، 212.

بإقامة منصة لسيدة القصر. حيث اضجع معها العاهل الإلهي من أجل ضمان حياة كامل البلاد⁽¹⁾. ولقاؤهما كان في ذروة الاحتفال في غرفة تقع في أعلى برج المعبد المدرج⁽²⁾.

كما أسبغوا على العريس صفات الألوهية فقد وصفوه بالثور، رمز الخصب وهذا شائع لدى القدماء، فقد اعتقدوا بالقوى الخارقة في بعض مظاهر الطبيعية (مطر، ماء)، أو شجر أو حيوان، وهو ما يعرف (بالطوم) والترنيمة التالية في إحدى مراحل الاحتفال مؤشر على ما نقول، حيث كانوا يتلون: "أيها الثور العظيم، الثور القوي الذي يدوس المراعي المزهرة ويتجول في المروج مانحاً الخير برحمة، الذي يخصب الحبوب ويجعل الحقول تثبتهج"⁽³⁾.

وغاية الزواج المقدس هو الخير والخصب، وقد تجلى بوضوح في الدّعاء الذي كان يتلوه الكاهن الأكبر في أوائل الألف الثاني قبل الميلاد، وهو يقود ملك مدينة (أسن) إلى عروسه الإلهة انانا، الممثلة بالكاهنة، حيث جاء فيه: "عسى أن يجعل الحقول منتجة كالفلاح، وعسى أن تكثر حظائر الأغنام كالراعي الأمين ،

في ظل حكمه عسى أن يكثر الزرع، وعسى أن يكثر الحب،

وفي النهر عسى أن يأتي الفيض.

وفي الأهوار عسى أن... الأسماء وتفرقزق الطيور.

وفي الغابات عسى أن تتكاثر الغزلان والماعز البري.

وعسى أن تنتج البساتين المسقية العسل والخمر.

وفي القصر عسى أن تكون هناك حياه طويلة، وإلى دجلة والفرات عسى أن تأتي مياه

فائضة.

(1) الماجدي، خزعل: المعتقدات الأمورية ص108.

(2) السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، دمشق، منشورات دار علاء الدين، ط1، 1997 ص156.

(3) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية ص259.

فرويد، سيجموند: الطومم والتابو، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، سورية، 1983، ص23.

وعلى ضفافهما عسى أن يثبت العشب عالياً، وعسى أن تكتسي المروج، وعسى أن تجعل الملكة المقدسة للخضار من الحب أعواماً وأكداً، يا ملكتي يا ملكة الكون، التي تحتضن الكون، عسى أن يستمتع بأيام طويلة في حضنك المقدس"⁽¹⁾.

وهكذا فقد أصبح الزواج الإلهي المخصب من مهام الملك، من أجل حث الطبيعة على الخصب، وإثراء الحياة في جميع وجوهها.

وتقدم لنا الأعمال الفنية المصورة من ثقافة وادي الرافدين وثقافات الشرق القديم الأخرى، شاهداً آخر على طقس الزواج المقدس. وهنا تتطابق المشاهد التي يقدمها لنا هذا الفن مع المشاهد التي رسمتها لنا الوثائق الكتابية.

ويرجع تاريخ أول عمل فني قدم لنا صورة عن الزواج المقدس، إلى أواخر الألف الرابع قبل الميلاد. أي إلى فترة ما قبل عصر السلالات الأولى وهو عبارة عن قاز (مزهرية) حجري تم العثور عليه في موقع مدينة أور. يبلغ هذا القاز المتر تقريباً، وهو مصنوع من الحجر وعليه مشاهد مصورة بطريقة الحفر، موزعة على أربعة أشرطة متواضعة فوق بعضها في طبقات، يعرض لنا الشريط الأعلى المشهد الرئيس، وفيه نرى الإلهة أنانا على البوابة تستقبل دوموزي، الذي يتقدمه خادم عادي الجسم، يحمل سلة مليئة بالثمار. وبسبب عوامل الحث لم يبق من جسم دوموزي إلا قدمه وجزء من التتورة الشبكية المميزة له في الفن التصويري السومري⁽²⁾.

وكما كان الملك مسؤولاً عن الخصب وعن إثراء الحياة بكل جوانبها، فقد كان لا بد له أن يقوم بتوفير الأمن والحماية لمملكته، فكان القائد الأعلى للجيش، وغداً لزاماً عليه أن يحارب بصورة مستديمة على رأس جيوشه للدفاع عن البلاد، وحماية الحدود، وقمع الاضطراب، والثورة، و نادراً ما كانت تلقى زمام القيادة الحربية إلى نائبه، وفي نهاية الحرب كان لا بد له

(1) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية ص 261، 263

انظر: الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الأول، دار الساقى، ط1، 1996 ص 105

(2) السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997 ص 160.

أن يقدم تقاريره لآلهته في صورة خطابات، لإبلاغها النجاح الذي تم على العدو؛ لأنه نائب الإله وقائده، وبطله المختار، وإعلان الملك للحرب كان يتم إطاعة لأوامر الإله، أو لأن المعاهدات المودعة تحت حماية الإله لم تعد محترمة⁽¹⁾.

وهكذا توحدت البلاد جميعها مع الملك، واختصرت في شخصه، حتى صار الخطر الذي يهدد الملك يهدد البلاد جميعاً، وسلامة البلاد لديهم تقوم على سلامة الملك.

وقد أخذ الكهان والعرافون دورهم في منظومة حماية البلد والحفاظ عليها، فهم يتنبأون بما قد يحصل في البلاد من خلال تفسيرهم لظواهر الطبيعة، كالحسوف والكسوف، وقراءة الفأل، وأكباد الحيوانات، فينذرون الملك بذلك؛ لاتخاذ التدابير اللازمة للمحافظة على حياته⁽²⁾.

وكما يستخدم الزعماء اليوم ما يُسمى بالبديل أو الشبيه لحماية أنفسهم - مع اختلاف في الأمر - فقد استخدم القدماء بديلاً للملك ليحل محل الملك فترة الخطر فقط. والملك البديل له فترة محددة بمئة يوم في العهود الآشورية، هي فترة الخطر، ويمنح كافة صلاحيات الملك، في حين يبقى الأصيل وأفراد أسرته في قصر خاص يقوم ببعض الطقوس الدينية، أما الملك البديل فقد يقتل في أثناء تعرضه للخطر أو بعد انتهاء فترة تعيينه، وتقليد الملك البديل هذا تقليد معروف لدى البابليين القدماء⁽³⁾ أيضاً.

ومن الآثار البابلية التي ما تزال شاهداً على قتل الملوك ما يجري في عيد السقاية، ففي هذا اليوم المليء بالمرح وغرائب العادات يتبادل السادة والعبيد أدوارهم، فيقوم السادة على

(1) زايد، عبد الحميد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية ص168.

وانظر: اتمار، أندريه، ابوايه، جانين: تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، ط3: بيروت-باريس، 1993 ص50، 143.

- دلو، برهان الدين: حضارة مصر والشرق: ص255، 256، 380، 381، 77، 83.

(2) سليمان، عامر والفتيان، أحمد مالك: محاضرات في التاريخ القديم، ص182.

وانظر: - الماجدي، خزعل: متون سومر، ص32.

(3) بوتيرو، جان: بلاد الرافدين، ط1، العراق-بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة 1990 ص194-197.

وانظر: عامر سليمان وأحمد مالك الفتیان: محاضرات في التاريخ القديم ص182.

- عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص169.

خدمة عبيدهم، ويلعب العبيد دور السّادة، وكانوا يأتون في اليوم الأول بأحد السجناء المحكومين بالإعدام، فيكسى بملابس الملك ويوضع على العرش، ويسمح له بإصدار الأوامر كما يترك على سجيته فيأكل ويشرب ويمتّع نفسه بكل وسيلة ممكنة حتّى إنّهُ ينام مع سرايا الملك ومحظياته، وذلك إلى اليوم الخامس وهو آخر أيّام العيد، عند ذلك تنزع عنه الثياب الملكية ثم يقتل⁽¹⁾.

ولعل استمتاع الملك البديل بكل حقوق الملك الأصلي بما فيها النوم مع نسائه، وجلوسه على عرشه ولبسه ثيابه، وإصداره الأوامر المطاعة، هي محاولة لإسباغ الشخصية الملكية عليه ليكون بديلاً حقيقياً عن الملك في طقس القران المقدس⁽²⁾.

وجدير بالذكر أنّ الفراعنة لم يعرفوا تعيين الأبدال بدلاً من الملوك لأن ذلك يناقض مبدأ ألوهية الملك (الفرعون)، ففراعنة مصر كانوا آلهة ولم يكونوا ممثلين للآلهة⁽³⁾.

وقد استمرت عادة قتل الملوك إلى زمن قريب لدى قبائل الشايلوك التي تسكن ضفاف النيل الأزرق في إفريقيا، فيقتلون ملوكهم بعد سبع سنوات كفترة مقررّة، وإن أُجديت أرضهم وساعات المواسم قتلوه قبل أوانه، وهو في حياته القصيرة هذه يخضع لنظام حديدي فرضه الكهنة المحيطون به، اسموه (التابو) فشخصية الملك لديهم مقدسة لا يمكن لأحد رؤيته سوى النبلاء، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه حتّى لأبنائه، وإذا ما خرج الملك في جولة أخلت الطرق أمامه وهرع الناس إلى بيوتهم وأحاط به كبار القادة والأمراء في موكب رسمي مهيب⁽⁴⁾.

كان الكاهن الكبير يدعو جميع النبلاء إلى احتفال سري عندما يحل الموعد المحدد لموت الملك، ليقرروا هذا الموت، ويتم تنفيذ هذا الأمر، وذلك بإعداد كوخ لهذا الغرض يوضع فيه

(1) السواح، فراس، عشتار، دار علاء الدين، ط6، ص314، 319.

- باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص392.

(2) السواح، فراس: لغز عشتار، ص319.

(3) زايد، عبد الحميد: الشرق الخالد، ص169.

- مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ص393.

(4) السواح، فراس: لغز عشتار، ص315.

الملك على فخذ عذراء ويغلق عليهما الكوخ ويتركها بلا طعام أو شراب حتى يموتا جوعاً واختناقاً⁽¹⁾.

وهذا الطقس يجب أن يتم في إحدى الليالي المظلمة الواقعة بين غياب القمر القديم، وظهور القمر الجديد، خلال فترة الجفاف السابقة لموسم الأمطار، وقبل أن تزرع البذور في الحقل، وبعد مرور عام كامل يتم تعيين الملك الجديد الشاب⁽²⁾.

وفي جنوب الهند كان الملك يضحى بنفسه بعد اثني عشر عاماً⁽³⁾ وهي الفترة اللازمة لدوران كوكب جوبيتر حول الشمس.

ومثل هذه الطقوس أو ما يشابهها كان يحدث لدى الرومان واليونان في حدث أسطوري يقتل فيه الملك باعتباره ممثلاً للإله⁽⁴⁾.

ولعلّ عملية القتل هذه فيها إشارة إلى ضرورة تغيير الملك، حيث جعلت للملك دورة محددة بعدد من السنين حددتها بعض مدن اليونان بثمانى سنوات، وهي أقل فترة تكفي لالتقاء التقويم القمري والتقويم الشمسي، حيث لا يتفق التقاء القمر وبلوغ النهار غاية القصر أو غاية الطول إلا مرة كل ثمانى سنوات⁽⁵⁾.

وإذا كان الأقدمون قد تعلموا الربط بين نمو زرعهم وبين دورة القمر من ناحية، ودورة الشمس من ناحية أخرى، وجعلوا من الأيام البارزة في دورتيهما مواسم يتقربون فيها إلى آلهتهم التي تحيي الزرع والضرع، فلا نستغرب أن يعتبروا النقاء الدورتين في السماء علامة على

(1) عياد، شكري: البطل في الأدب والأساطير، ص 115.

- السواح، فراس: لغز عشتار، ص 315.

(2) السواح، فراس: لغز عشتار، ص 315.

(3) المرجع السابق، ص 317.

(4) المرجع السابق، ص 318.

(5) عياد، شكري: البطل في الأدب والأسطورة، ص 117.

ابتداء دورة الملك على الأرض، الذي كان في اعتقادهم مرتبطاً بهذه القوى الكونية، بل جزءاً منها⁽¹⁾.

وبفضل دعاوى قدسية المولد، وقدسية الحكم احتل الملوك منزلة سامية ذات جلال ورهبة في النفوس، ففي حضارة وادي النيل استغل فراغ مصر اعتقاد الشعب فيهم أنهم آلهة ليفرضوا عليهم عبادتهم، والصلاة لهم في المعابد في حياتهم، وتدلنا المعلومات التاريخية أن أول ملك مصري فرض عبادته وهو على قيد الحياة هو الملك أمينوفيس الثالث، فقد أمر النوبيين أن يعبدوه في معابدهم ويقدموا إليه القرابين، والصلاة له، وطلب الرحمة منه، وتقبيلاً الأرض بين يديه، أو تقبيل أقدامه⁽²⁾.

وقد كانت تقام طقوس الخدمة في باحات المعبد العامة حيث كان يؤديها عدد كبير من الكهنة والموظفين والتابعين للمعبد، وذلك من أجل أن يمنح الإله الحياة الأبدية والسعادة والنصر⁽³⁾.

وموت الملك كان يمثل حادثاً جليلاً يشمل تأثيره كل إنسان دون استثناء، ذلك لأنه نذير شؤم بالنسبة لمستقبل البلاد، فكما كان يعتقد بأنه يرسل عليهم المطر، وضوء الشمس، ويخصب الأرض، كانت الطوابع السيئة تقرر وفاة الملك مع ذبول الخضروات، وهبوط مناسيب الأنهار، فضلاً عن تأجيل عمل أي شيء يجعل الأرض مثمرة وذات فائدة، (وبهذا الشأن) تقول رسالة من آشور ما يأتي: "في اليوم الذي يسمح فيه بموت الملك بيكي شعب آشور"⁽⁴⁾، وكانت وفاة الملك في العراق القديم مناسبة حزن ونذير شؤم للبلاد، لأنه صلة الوصل بين السماء والأرض.

(1) عياد، شكري: البطل في الأدب والأسطورة، ص 117.

(2) سليمان، عامر والفتيان، أحمد مالك: محاضرات في التاريخ القديم، ص 293.

دلّو، برهان الدين: حضارة مصر والعراق، ص 76.

(3) الماجدي، خزعل: الدين المصري، ص 228.

(4) النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص 92.

ومتلما كان الملك عظيماً في الحياة كان لا بُدَّ أن يبقى عظيماً في الموت، لذلك عني الأقدمون بأضرحة ملوكهم لتكون شاهداً على هذه العظمة، فالأشوريون كانوا يدفنون ملوكهم في القصور الملكية، أو في مزارات تحتوي العديد من الغرف التي تمارس فيها الشعائر الجنائزية كنوع من الامتياز. أما الكنعانيون فكانوا يضعون جثث ملوكهم في نواويس حجرية⁽¹⁾.

والسومريون كانوا يدفنون الملك أو الحاكم في تابوت، ثم يوضع في قبو مبني من الحجر، حيث يحاط بالرجال والخدم، ويكون مزوداً بالحاجات الشخصية توضع بجواره، مع وضعهم قارباً صغيراً مملوءاً بالأواني الفخارية المملوءة بالقرابين، لاعتقادهم بالحياة بعد الموت، حتّى إن بعضاً من حاشيته كان يقتل وتوضع جثثهم بجانب الملك، حتّى إذا نهض من موته وقفوا على خدمته⁽²⁾.

أمّا قدماء المصريين فكما كان الفرعون إلهاً في الحياة، فقد كان يجب أن يكون كذلك في الموت، فهو الأول بين المصريين، وبالتالي يستحق العبادة والتكريم، ومن أجل ذلك شيدت الأهرامات التي تعتبر منزلاً وحامياً لجثمانه، قادرة على التغلب على عوامل الدمار والفناء. ولأنه إله كان لا بُدَّ أن يدفن معه كل أتباعه المقربين من الزوجات، والجنود، والخدم، والموسيقيين، إضافة إلى كل ما يحتاج من حيوانات، وأدوات، لينتقلوا معه إلى العالم الآخر، حيث يواصلون حياتهم، ليكونوا في العالم الأسفل، كما كانوا على الأرض. ويجسد هذه الفكرة النص التالي:

وحمل (نمتار) الذي لا أيدي له ولا

أرجل ولا يشرب ولا يأكل (كلكامش) إلى

العالم الأسفل، ودخل به وعائلته نحو

(1) الماجدي، خزعل: متون سومر ص326، 328، 234.

حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد الرافدين القديمة 261، 229.

نعمة، حسن: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، ص93.

أتمار، أندريه وأوبوايه، جانين: تاريخ الحضارات العام (الشرق واليونان القديمة) ص46.

(2) سليمان مظهر: قصة الديانات، ص69.

بوابة العالم أسفل، زوجه المحبوبة وابنه

الحبيب ومحظيته وموسيقاره، ونديمه

وحاجبه واتباع قصره وحارسه الحبيب

فرح الآلهة بمجيء كلكامش

وصار ملكاً من ملوك العالم الأسفل

يمضي مع ملوك وآلهة العالم الأسفل⁽¹⁾.

تلك كانت معتقدات الأقدمين في الملك، فهو إما إله أو ممثل للإله، بيده الحياة والموت والخصب والجذب، لذا سيطر على كل مناحي الحياة، ووجده العامة في كل جوانبها، ووجدوا سعادة غامرة في طاعته والتقرب منه، وافتدائه بالروح والمال والولد، وفي تقديم القرابين له، فهو الخير، وهو المطر، والوسيط فيه. وكما عظموه في حياته فقد عظموه في مماته، فبنوا له ما يخلده، وزودوه بكل ما يحتاجه إيماناً منهم بالحياة الآخرة، فهو سينتقل من ملك وإله في الحياة إلى ملك وإله في الموت أيضاً.

(1) الماجدي، خزعل: متون سومر، ص235.

المبحث الثاني: الملك في الموروث الجاهلي

لم يبتعد اعتقاد العرب بقدسية الملوك وألوهيتهم في الجاهلية كثيراً عن اعتقاد الأمم الأخرى، فالأمم جميعاً تكاد تصدر عن رؤية واحدة للملوك.

ففي الجاهلية الأولى كانت نفوس الناس تمتلئ رهبة من الملوك، فملوكهم في رأيهم ليسوا بشراً، لذا عظموهم وسجدوا لهم، تقريباً وطاعة⁽¹⁾، وقد عبّر عن هذا الأعشى في حديثه عن عودة مظفرة للمك قيس بن معد يكرب فقال⁽²⁾:

- المتقارب -

فلما أتانا بُعيد الكرى سجدنا له ورفعنا عمّاراً

كانوا يعتقدون أيضاً أنه لا يمكن منازلة الملك، ولا يستطيع أحد هزيمته، ففيه روح إلهية مقدسة تبعث فيهم الرهبة والخوف والطاعة.

وكان الملك بالنسبة إليهم مقدساً، وكذلك أبنائه، فطاعة الملك أو ابنه واجبة، وأمره نافذ، فالابن جزء من أبيه، وهو مقدس مثله، لذا نشر الملوك أبناءهم بين القبائل على وجه أشبه ما يكون بالملوك الصغار، الذين يحكمون القبائل، فهم امتداد للملك الأب، لهم حق الطاعة على الناس، ولهم قدسيته أيضاً، والويل والعذاب لمن أساء إليهم، فالواحد منهم يعدل مئة من الناس، وما قام به عمرو بن هند في يوم (أورة الثاني) من تقديم مئة من بني دارم للنار بأخيه أسعد ابن المنذر الذي قتل أو مات لدليل على أن الواحد منهم كان يعدل مئة.⁽³⁾

فالعرب إذن كغيرهم من الأمم قدسوا الملوك، وكان أكثر ملوكهم كهنة حكموا باسم الآلهة⁽⁴⁾ فالملوك كهان الأمة، وأطبائها، وهم أيضاً حكامها الديويون.⁽⁵⁾

(1) اسليم، فاروق أحمد: الانتماء في الشعر الجاهلي ص282.

(2) الديوان ص51.

(3) الأندلسي، ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 278/1.

(4) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ص178.

(5) البياتي، عادل جاسم: الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي ص98.

ومن مظاهر تقديسهم للملوك أنهم كانوا يطلقون على الملك "الرّب" وينادونه بالرّب أو أبيّ اللعن⁽¹⁾.

وترينا أقدم الكتابات العربية، أن العربية الجنوبية حكمها قبل الملوك أناس حكموا حكماً مزدوجاً، أي حكماً دينياً ودنيوياً على نحو ما حدث في العراق، وفي مصر، وفي أماكن أخرى من الشرق، قبل أن ينتقل الحكم إلى الملوك، ويتحول إلى حكم زمني، ينصرف فيه الملك إلى الأمور الزمنية لرعيته، تاركاً الشؤون الدينية لرجال الدين، حكموا الأرض باسم السماء، وحكموا حكم الساسة والحكام، ونطقوا باسم الآلهة، فحكمهم حكم الهي مقدس على أتباعهم، ومن يؤمن بهم، لأنهم أسنة الآلهة الناطقة على هذه الأرض.

ويعرف هذا الكاهن الملك بـ (مكرب) أي (مقرب) أي (أمير الكهنوت) أو (أمير القربان)⁽²⁾.

وليس هناك تعليل للدوافع التي حملت آخر (مكرب) في كل دولة من الدول العربية الجنوبية على تغيير لقبه القديم، واتخاذ لقب جديد، لقب (ملك) وهو لقب يشير إلى الحكم الدنيوي فقط، والى ابتعاد الملك عن الحكم الديني وتركه لغيره، ولكن هذا قد يكون باحتمال تأثر هؤلاء (المكربين) بالمظاهر الخارجية التي كانت عند الدول المعاصرة التي لقيت حكمها بلقب ملك، وهي دول كبيرة، ذات جاه واسم وسلطان، فأراد الحكام، حكام حكومات اليمن، التشبه بهم، ومحاسنتهم في المظهر، فغيّروا ألقابهم، ليظهروا أنفسهم مثلهم، وأنهم ليسوا أقل شأناً من أقرانهم الملوك⁽³⁾.

(1) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 5/223.

(2) نيلسون، دتليف: التاريخ العربي القديم، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص 124.

(3) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 5/190.

الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب ص 104 وما بعدها.

وما حدثونا به عن عمرو بن لحي، وعن ابتداعاته في الجاهلية لأقرب إلى ما نحن بصدده من تعظيم العرب رؤساءهم، وتقديسهم زعماءهم وفي حديثهم عن هذا الكاهن يقولون: أنه (بلغ بمكة وفي العرب من الشرف ما لم يبلغ عربي قبله ولا بعده في الجاهلية)⁽¹⁾.

وكان قد ذهب شرفه في العرب كل مذهب، وكان قوله فيهم ديناً متبعاً لا يخالف، على أن منهم من ذهب إلى أبعد من ذلك فزعم أنه صار (للعرب رباً لا يتدع بدعة إلا اتخذوها شرعه، لأنه كان يطعم الناس ويكسوهم في الموسم، وربما نحر لهم في الموسم عشرة آلاف بدنة، وكسا عشرة آلاف حلة)⁽²⁾.

وكما كان للملك رهبة وتقديس في نفوس العامة، فقد كان هو السلطة العليا، وبيديه تركزت السلطات جميعها، فهو الموجه والمدبر للدولة، وهو قائد شعبه أيام السلم وأيام الحرب، وهو الرئيس الروحي لأمته، وهو صاحب الدولة والقيم عليها، وهو من يهب ويمنع وهو الذي يأمر وينهي، وهو الذي يحكم كما شاء، وعلى من شاء، وبما شاء.

وقد أغرق هؤلاء الملوك في حقهم هذا، حتى إن كليب وائل كان يتخذ حمى، يمنع أي واحد من الاقتراب منه⁽³⁾.

ولأن الملك هو السيد المطلق، وهو الأمر الناهي، صاحب المملكة ورئيسها ومالكها، فله (حق الاحماء)، فإذا أعجب بأرض أو ماء أو عشب أو حيوان، أعلن دخوله في حماه، فلا يحق لأحد أن يرعى أو يصطاد في تلك المنطقة سواه، إلا بإذن منه، ولما وثب علباء بن أرقم اليشكري على كبش للنعمان بن المنذر كان قد (حمه) أي قد جعله حمى، فذبحه، حمل إلى النعمان فاعتذر إليه وعفا عنه.

(2) الاندلسي، أبو سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 212/1.

وانظر: الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط1، 1955.

(3) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج 254/5 وما بعدها.

وكان النعمان بن المنذر يحمي مواضع عديدة قرب الحيرة، وعلى مبعدة منها، ترعى فيها إبله وبهائمها، منها أرض (سحيل)، وهي أرض بين الكوفة والشام⁽¹⁾.

وقد كشفت لنا نصوص الكتابات العربية الجنوبية عن عبارة (ذات حمم) التي فسرت من جانب العلماء ب (ذات حمى) وهو الموضع الذي يحمى ويخصص للآلهة، أو معبد الملك والحاكمين⁽²⁾. في إقرار العامة بهذا اعتراف بخصوصية الملوك وقدسيتهم، وتميزهم عن العامة.

ومما يشير إلى قدسية الملوك وتميزهم عن العامة هو اعتقاد العامة بقدسية الدم الملكي، حيث اعتقدوا أن فيه دواء للمستعصي من الأدياء، يشفي من داء الخبل والكلب، فقد كانت العرب في الجاهلية إذا أصاب الرجل الكلب قطروا له دماً من بني ماء السماء، وهو عامر بن ثعلبة الأزدي، فيسقى، فكان يشفى منه⁽³⁾.

ويؤيد ذلك ما قالته الزبّاء لجذيمه حين أسرته وأمرت بقتله، حيث قالت: أنبت أن دماء الملوك شفاء من الكلب، فلا تضيعوا دم الملك، ولهذا أمرت بطشت وقامت بقطع راهشيه لينزل الدم فيه، لاستخدامه في العلاج⁽⁴⁾.

ولم تكن قدسية الدم الملكي مقتصرة على هذا، فقد كانوا يعتقدون بربط الدم بالروح، فالروح تسري بالدم، ولذلك زعموا أن المرأة التي لا يعيش لها ولد إذا وطئت دم الشريف، سواء قتل غدرا أم قوداً، عاش ولدها⁽⁵⁾.

(1) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 5/256.

(2) البيهقي، عادل جاسم: الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي ص114.

(3) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 2/79، وابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير ص142 والأندلسي، ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب ص791/2، وأبو سويلم، أنور، دراسات في الشعر الجاهلي، ص90. والشوري، مصطفى: شعر الرثاء في العصر الجاهلي/دراسة فنية ص28

(4) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 1/199 وما بعدها، والمسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر 2/95.

(5) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 2/318، والأندلسي، ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 2/786، والحوافي، أحمد محمد: الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص498 وأبو سويلم، أنور: دراسات في الشعر الجاهلي ص93.

وقد يكون هذا الطقس من قبيل الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وانتقالها من الأموات إلى الأحياء، فأرواح الملوك لا تموت⁽¹⁾، لامتلاكها قوى روحية خارقة إلى أن خلخها مقتل أسوار من الفرس كما سنرى لاحقاً.

وشبيه بهذا ما فعله بعض النساء في مصر اليوم عندما يتخطين القتييل للشفاء من العقم⁽²⁾.

ومن طقوس تقديس الملوك، واعتقاد الجاهليين بقدسية الدم الملكي، والرغبة في الحصول عليه، أن العذارى كانت تدخل عليهم قبل إدخالهن على أزواجهن، وقد يكون السبب في ذلك الرغبة في الدم الملكي⁽³⁾.

كما كانوا يمنعون نساء الملوك من أن يتزوجن بعد وفاة أزواجهن الملوك، تعظيماً لهم، بسبب ما نالوه من رياسة الدنيا، وما وصلوا إليه من عظمة الشأن⁽⁴⁾.

ومن أجل هذه النخبوية الملكية، ونفرد الدم الملكي هذا، فقد كانت أعناقهم لا تضرب إلا في الحرب تكرمته، وكان ثمة عرف عندهم حتى في أوج الغضب، وفي نزوة احتدام الصراع بين الخصوم من الملوك، عدم التفريط بقطرة من دم الملك العدو، إذا قبض عليه خارج ساحات المعارك⁽⁵⁾.

وبسبب تلك القدسية وتلك المكانة، كان الملك إذا مرض حملته الرجال على أكتافها لأن ذلك أوطأ له من الأرض⁽⁶⁾.

(1) أبو سويلم، انور: دراسات في الشعر الجاهلي ص 92، 93.

(2) حسن، حسين الحاج: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، 1998، ص 80، 81

(3) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 4/2. وعلي، جواد: المفصل 686/1. وعبد الخالق،

عيسى: رثاء الممالك والملوك في الشعر الجاهلي، ص 14.

(4) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 55/2 وعبد الخالق، عيسى: رثاء الممالك والملوك في

الشعر الجاهلي ص 14.

(5) أبو علي: محمد توفيق: صورة العادات والتقاليد في كتب الأمثال العربية ص 134.

(6) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 20، 21/3.

ومن مظاهر تقديس الملوك، نظر الناس إلى جمالهم، فقد ذكر أن غيلان بن سلمة الثقفي من حكام قيس، كان له ثلاثة أيام، يوم يحكم فيه بين الناس، ويوم ينشد فيه شعره، ويوم ينظر فيه إلى جماله⁽¹⁾.

ولك أن تتخيل ما يرافق هذا النظر من إعجاب، ومن إحساس بقُدسية المنظور إليه، وكأنه طقس تعبدى يؤدي على هذه الصورة.

ومن مظاهر تقديس الملوك أيضا أن دية الملك لم تكن كدية غيره من السادة، فإن حددت دية الفرد بمائة من الإبل لدى عامة العرب، فقد كانت دية الملك ألف بعير⁽²⁾.

وفي ألقاب الملوك وأسمائهم دلالة أخرى على سمو منزلتهم، وإحاطتهم بمظاهر الإجلال والرهبة، والتقديس، وتمتعهم بصفات الألوهية، فالملك عامر بن حارثة الأزدي لقب ب (ماء المزن) لأنه إذا أجدبت السنة واحتبس المطر فتح بيوت أمواله للناس، وعالمهم حتى يخصبوا، فكان يقوم مقام المطر، ومن ذلك أيضا لقب الملك مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو بن المنتاب (بناشر النعم) لأنه ينشر نعمه على الناس⁽³⁾.

ومن أجل هذه القدسية وهذه المكانة كانت للملوك تحية تختلف عن عامة الناس، ومن هذه التحية (أبيت للعن)، أي أبيت أيها الملك أن تأتي ما تلعن عليه، واللعن هو الإبعاد والطرده من الخير⁽⁴⁾.

(1) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 319/1، و عبد الخالق، عيسى: رثاء الملوك والممالك ص14.

(2) الجاحظ: الحيوان 5/2 وابن دريد: الاشتقاق ص20، 21.

(3) الأندلسي، أبو سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 131/1 والنعمي، إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ص86.

(4) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 172/2، 173 وعلي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج5/223، اسليم، فاروق أحمد: الانتماء في الشعر الجاهلي ص280، وشرف الدين، عمر: الشعر في ظلال المناذرة ص120.

كما كان لهم خطاب يختلف عن خطاب العامة، فلم يكن خطاباً بين رعية وملكها، بل كان خطاباً بين عبيد وربهم، فهذا عوف بن محم يقول حين رأى الملك (إنه ربي ورب الكعبة)⁽¹⁾ كما أن هوازن لم تكن ترى زهير بن جذيمة إلا رباً⁽²⁾.

كان الملوك، هم المعطون، فهم أرباب الناس المقدسون، والعامة يرجون هباتهم وأعطياتهم، فهم مانحو الخير والبركة، وقد جاء في ثنايا الخطبة التي ألقاها عبد المطلب - جد الرسول عليه السلام - حين ذهب مع وفد من قريش إلى الملك سيف بن ذي يزن، وقد وقف بين يديه مهنتاً إياه بانتصاره على الحبشة واسترداد ملكه فقال: "إن الله تعالى أيها الملك أحلك محلاً رفيعاً صعباً منيعاً، باذخاً شاملاً؛ وأنبئك منبتاً طابت أرومته، وعزت جرثومته، ونبل أصله، ويسق فرعه، في أكرم معدن، وأطيب موطن؛ فأنت -أبيت اللعن- رأس العرب، وربيعها الذي به تخصب، وملكها الذي به تنقاد، وعمودها الذي عليه العماد، ومعقلها الذي إليه يلجأ العباد، سلفك خير سلف، وأنت لنا بعدهم خير خلف، ولن يهلك من أنت خلفه، ولن يخمل من أنت سلفه. نحن أيها الملك أهل حرم الله وذمته وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي انهجك لكشف الكرب الذي فدحنا فنحن وفد التهئة لا وفود المرزئة"⁽³⁾.

وإن كان العامة يرجون عطاء الملوك وهباتهم إلا أنهم كانوا يخشون بطشهم وتقلب مزاجهم، حتى قالوا: (إن الملوك إذا خدمتهم ملوك، وإن لم تخدمهم أدلوك، وإنهم يستعظمون في الثواب رد الجواب، ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب، وإنهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من

(1) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، ت: عبدالسلام محمد هارون 329/1. و عبد الخالق، عيسى: رثاء الممالك والملوك ص12.

(2) الألويسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 118/1.

(3) الأندلسي، أحمد بن عبد الله: العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترخيني 242/1، دار الكتب العربية، بيروت-لبنان 1983

- وانظر: صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العربية، بيروت-لبنان 76،77/1.

- والنعمي، إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ص84.

خدمتهم، فيبنون لها منارا، ثم يوقدون لها نارا، ويعتقدونها ثارا⁽¹⁾ بل كانوا يقولون: (اتقوا غضب الملوك ومدّ البحر)⁽²⁾.

ولدريد بن الصمة في التحذير من بطش الملوك كلمة قالها يوصي بها قومه: (اسمعوا مني... أول ما أنهاكم عنه، فأنهاكم عن محاربة الملوك، فإنهم كالسيل بالليل لا تدري كيف تأتيه، ولا من أين يأتيك، وإذا دنا منكم الملك واديا فاقطعوا بينكم وبينه واديين، وإن أجدبتم فلا ترعوا حمى الملوك، - وإن أذنوا لكم - فإن من رعاه عالماً لم يرجع سالماً)⁽³⁾.

ومن مظاهر بطش الملوك اتخاذ النعمان بن المنذر الأول ليومي البؤس والنعيم وهي قصة معروفة، فالمنذر بن ماء السماء قد جعل لنفسه يومين في السنة - يوم بؤس، ويوم نعيم، يجلس فيهما عند الغرّيين (وهما قبراً رجلين أغضباه في بعض المناطق)، وقد كان يضحى للعزى بالقربين البشرية في يوم بؤسه، حتى إنه ضحى في هذا اليوم بنديميه الأسديين وبالشاعر عبيد ابن الأبرص الذي سجل ذلك في أبيات له سيأتي ذكرها لاحقاً⁽⁴⁾.

ونظرة التقديس هذه للملك، والخوف من بطشه، والرغبة في نيل عطاياه، كانت السبب الذي لأجله حرصت القبائل على تفادي أيه خصومة تقع بينها وبين الملك، وإن حدثت خصومة كهذه فقد كانت القبيلة تحجم عن مناصرة من يخاصم الملك من أبنائها، بل إنها كانت هي المبادرة بإقامة علاقة حسن جوار مع الملوك، وإظهار مشاعر الإجلال والطاعة لهم، وذلك عن طريق بعث سفرائها إلى بلاطهم.

(1) الألويسي، محمود شكري: نهاية الأرب 6/16 وانظر المولى، محمد أحمد: أيام العرب في الجاهلية ص142 وما بعدها.

(2) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، دار نهضة، مصر 1965، ص184، 186.

(3) السجستاني، أبو حاتم: المعمرين والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر، ص28.

وانظر: الشوري، مصطفى: الشعر الجاهلي: تفسير أسطوري ص69.

(4) الأندلسي، أبو سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب 1/280، والنعيمي، إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي

قبل الإسلام ص87 والبياتي، عادل جاسم: الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي ص121

ولعل هذا ما يفسر لنا إجماع بعض القبائل عن نصره شعرائها وأفرادها، إذا ما تعرضوا لبطش الملك بسبب ما، كما حدث للشاعر طرفة بن العبد الذي قتل بأمر من الملك (عمرو ابن هند) أمام أنظار قومه⁽¹⁾.

لكن بطش الملوك هذا وتجبرهم بالعامه في الجاهلية المتأخرة جعل الناس يتمردون جزئياً على قداسة الملوك، فقد اكتشف الناس أن الملوك كعامه الناس، يموتون كما تموت العامه، ويقتلون كما تقتل العامه، فقد أفاق الناس يوم ذي قار على زيف هذه القدسية، ففي هذا اليوم خرج أسوار من الفرس يدعو إلى النزال، فتهيبته القبائل التي كانت تنظر إلى الملك نظرة الإجلال والتقدير، إلى أن تجرأ فارس بكري على منازلته وقتله، فأسقط أسطورة هؤلاء الملوك وصرخ مخاطباً الجيش العربي في تعجب واستغراب، وكأنه لا يصدق ما جرى قائلاً: (يا قوم أنهم يموتون) وقد سجل الشداخ بن يعمر الكنعاني هذا الاستغراب وهذا الحدث بقوله⁽²⁾:

القوم أمثالكم لهم شعراً
في الرأس لا يُنْشَرُونَ إن قُتِلُوا

ويبدو واضحاً في هذا البيت مدى استغراب الشاعر، وعظم ما اكتشف، من أن الملوك مثل الناس، لهم شعر، وإذا ماتوا، لم تحل أرواحهم في آخرين، ولا يبعثون في الحياة كباقي الناس أيضاً.

وهكذا نرى أن نظرة الجاهلية للملك في عصورها المتأخرة كانت تسير بخطوات حثيثة نحو وضع أكثر واقعية فلم يعد الملك ظل الإله في الأرض، بل صار له أقيال ومستشارون ومجلس من الحكماء، يستشيرهم، ويهتدي برأيهم في إدارة المملكة، وقد تجلى ذلك بوضوح في الممالك العربية الجنوبية والعربية الغربية.

(1) النعيمي، إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ص 91، 90 والبياتي، عادل جاسم: الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي ص 120

(2) التريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، القاهرة، 1937، ج1، 102 و الشوري، مصطفى عبد الشافي: الشعر الجاهلي- تفسير أسطوري- الشركة المصرية لونهمان، ط1، 1996، ص69.

فالعرب إذا، في تعظيمهم الرؤساء كان شأنهم كشأن غيرهم ممن عظموا الملوك تعظيم
العبادة، مع فرق ما تستوحيه الحياة ومقتضياتها، ما داموا غير مرتبطين ربطاً وثيقاً بالله، ولا
يجمعهم دين عام، بل تجمعهم أواصر القبيلة التي كانت مثال العروة الوثقى بينهم، فلماذا لا
يعظمون ويقدمون سيدها ويرفعونه إلى مكانة العبادة!؟

الفصل الثاني

الملك في أغراض الشعر الجاهلي

1. المديح.
2. الحكمة.
3. الهجاء.
4. الرثاء.
5. الفخر.
6. الاعتذار.

الفصل الثاني

الملك في أغراض الشعر الجاهلي

احتل الملك في حياة الجاهليين مكانة عالية، فصار سمعهم الذي يسمعون به، وبصرهم الذي يبصرون به، ملأ نفوسهم عزاً وكبرياء، صار فرحهم الذي يفرحون وحنينهم الذي يحزنون، صار آلامهم وآمالهم وبعينيه رأوا الدنيا فهو الذي يغذيهم روحياً ومادياً، واختصروا فيه حياتهم، وجاء الشعراء بدورهم يسجلون نبض العامة وأحاسيسهم ويصوغونها شعراً فتكاد لا تجد غرضاً شعرياً من الأغراض لا يرد فيه ذكر الملك. فهو في مديحهم وفخرهم وراثتهم وهجائهم وتشكيهم... إلخ. بل ذكره أيضاً حين ثاروا على ظلم مجحف وعدوان سافر لم يستطيعوا احتماله. وسنعرض في الصفحات التالية الأغراض التي ورد فيها ذكر الملك في أشعارهم، ومنها:

المديح

اعتادت المجتمعات البشرية خلال عصورها على وجود شخصيات إنسانية متفردة في تفوقها وقدراتها على سائر الناس، وقد كان الملك من أبرز تلك الشخصيات التي نظر إليها الناس. نظرة إكبار وإجلال وتعظيم، وذلك لما بين عيشة الملوك وعيشة هؤلاء من بون شاسع، ولما بين بيوت هؤلاء، وقصور الملوك من مدى يبهر الطرف.

وكان الشعراء من بين أولئك الذين أعجبوا بالملوك، فكان شعرهم تعبيراً عن هذا الإعجاب، وسجلاً حافلاً بمكارمهم وفضائلهم. فأسبغوا عليهم الصفات الجليلة، التي وضعتهم في كثير من الأحيان في مصاف الآلهة، كما وضعتهم موضع المثل والقوة، فكان المديح الذي تحدث فيه معظم الشعراء، والذي نشأ في البداية، إعجاباً بشخصية الممدوح، ورغبة في الفضيلة، وتعداد مناقب الإنسان الحي، تلك التي خلقها الله فيه بالفطرة، وتلك التي اكتسبها اكتساباً، ولكن، ولما كان هذا الفن قديماً قدم الشعر عند العرب، ونظراً للحياة القبلية التي كان يحياها الإنسان الجاهلي؛ فإن الشعراء قد حادوا أحياناً بالمديح عن هدفه الذي وجد من أجله

أصلاً، فصار بعضهم يمدح بغية التكسب والمنفعة، والتقرّب من الملوك، وذوي السلطان، حيث أفاض الشعراء بالمديح فأجزل الملوك العطاء. ولكن، وبالرغم من ذلك، فإن عدداً من الشعراء قد سعى في مديحه إلى غايات نبيلة، كإطلاق الأسرى، فقد مدح المثقب العبدى النعمان بن المنذر من أجل إطلاق سراح من وقع من أبناء القبيلة (لكيز) في أسره، وعلقمة الفحل مدح الملك الغساني الحارث بن أبي شمر، سعياً للإفراج عن أخيه شأس، والممزق العبدى الذي مدح الملك عمرو بن هند استعطافاً له حين همّ بغزو عبد القيس⁽¹⁾.

كان لا بُدَّ للشاعر وهو يقف بين يدي ملك عظيم له مكانته ورهيبته في نفوس رعاياه أن يسجل ما لاقاه في رحلته إلى الملك الممدوح من عنت، وما كابده من مشقات، وما اجتاز من مفاوز مهلكة، كل هذا ليكون الشاعر جديراً بالعطاء فقد بذل طاقته وجهده وتكبد كل شيء، حتى وصل إلى الملك، إنها رحلة تستحق عطاءً جزيلاً.

فها هو عمرو بن قميئة يصف رحلته وقد انتجع الملك، يقطع مفاوز مخيفة، لشدتها يتراءى له فيها السراب، فيزيدها وحشة ورهبة، وخوفاً من الضلال فيها، يقطعها على ظهر ناجيه قوية صلبة سريعة الجري، لا يثنيها شيء، وكأنها أتان وحشية تفر من صياد، ولكن هذه الرحلة لطولها وشدّة أهوالها تكاد تزهرق ناقته، حتى يصل إلى المنذر ملك الحيرة فيخفف بعطائه ما لاقاه من أهوال فيقول⁽²⁾:

(1) ظلمات، غازي وآخرون: الأدب الجاهلي قضاياه وأغراضه - أعلامه - فنونه، دار الفكر - بيروت، ط1، 2002م، ص200، الذّهان، سامي: المديح، ص48. وأبو حاقّة، أحمد: فن المديح، ط1، 1962، ص51، وما بعدها.

(2) الديوان: ص69.

- المتقارب -

وبيداءً يلعب فيها السرا
تجاوزتها راغباً راهباً
بضامرة كأتان الثميل عير
إلى ابن الشقيقة أعملتها
أوفاهم عند عقْدِ جبالا
بُ، يخشى بها المدلجون الضلالا (1)
إذا ما الظباء اعتنقن الظلالا
انة ما تشكى الكلالا (2)
أخف العقاب وأرجو النوالا (3)

وشأن عمرو بن قميئة شأن الشاعر الأعشى الذي يسجل ما عاناه من خوف وتعب في سبيل الوصول إلى الملك قيس بن معد يكرب، فهو قد قطع صحراء موحشة مضلة، فوق ناقة ضخمة، سلسلة القيادة، تنطلق بسرعة هوجاء تعتسف الطريق اعتسافاً، فتضطرب السيور التي تشد جوانب الرحل إلى أرساعها، تاركة وراءها أثر أخفافها مطبوعاً في الرمال، وهي ناقة ليست بحاجة إلى من يستحثها، ولم يزل يُعملها حتى تركها كالهالك هزلاً، كل ذلك كان من أجل أن يلقي رجلاً كريماً ذا مكانة ومنزلة عالية فيقول (4):

- الكامل -

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَنَفَهَا
يَهْمَاءَ مَوْحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِهَا
بِجَلَالَةٍ سُورِحٍ كَأَنَّ بَغْرَزِهَا
عَسْفًا وَإِرْقَالَ الْهَجِيرِ تَرَى لَهَا
كَانَتْ بَعِيَّةً أَرْبَعٍ فَاعْتَمَتْهَا
فَتَرَكْتُهَا بَعْدَ الْمَرَّاحِ رَدِيَّةً
فَتَنَاوَلْتُ قَيْسًا بِحَرِّ بِلَادِهِ
فَإِذَا تُجَوِّزُهَا حِيَالَ قَبِيلَةٍ
قَبِيلَ امْرِئٍ طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُبَارَكٍ
وَنِيَاظٍ مُقْفَرَةٍ أَخَافُ ضَلَالَهَا (5)
طَرْفِي لِأَقْدَرِ بَيْنَهَا أُمِّيَالَهَا
هَرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِيُّ ظِلَالَهَا
خَدْمًا تُسَاقِطُ بِالطَّرِيقِ نِعَالَهَا
لَمَّا رَضِيَتْ مَعَ النَّجَابَةِ آلَهَا
وَأَمْنَتْ بَعْدَ رُكُوبِهَا إِعْجَالَهَا
فَأَتَتْهُ بَعْدَ تَتُوفَةٍ فَأَنَالَهَا
أَخَذَتْ مِنَ الْآخَرَى إِلَيْكَ حِيَالَهَا
أَلْفَى أَبَاهُ بِنَجْوَةٍ فَسَمَا لَهَا

(1) البيداء: الفلاة (اللسان - بيد). - المدلجون: السائرون من أول الليل.

(2) أتان الثميل: الصخرة الضخمة في باطن المسيل لا يرفعها شيء ولا يحركها.

العيرانة من الإبل: الصلبة الناحية في نشاط - الكلال - الأعياد.

(3) النوال: العطاء (اللسان - نول).

(4) الديوان، ص 27.

(5) الجزور من الإبل خاصة يقع على الذكر والأنثى. نياظ الصحراء بعد طريقها، فكأنه نيطت بصحراء أخرى فلا تكاد تقطع، ناط عليه الشيء علقه، ناطت الدار بعدت.

وكانت الرحلة عند علقمة الفحل صعبة طويلة، حتّى أنها تثنى النواحي وتهزلها رغم قوتها. رحلة قام بها على ناقة سريعة تشبه البقرة الوحشية المذعورة من الصيادين، قطع في أثناءها الفلوات المخيفة والطرق الوعرة والأماكن الغليظة غايته منها الوصول إلى الملك الحارث بن أبي شمر الغساني، وقد تجشم مصاعب الرحلة آملاً في الحصول على ما كان يرجو من معروفه وفضله فيقول⁽¹⁾:

- الطويل -

وناجية أفنى رقيب ضلوعها	وحاركها تهجر فذوب ⁽²⁾
وتصبح عن غب السرى وكأنها	مولعة تخشى القنيس شوب ⁽³⁾
تعقق بالأرطى لها، وأرادها	رجال فبذت نبلهم وكليب ⁽⁴⁾
إلى الحارث الوهاب أعلت ناقتي	لكلها والقصرين وجيب ⁽⁵⁾
لتبلغني دار امرئ كان نائياً	فقد قربتني من نذاك قروب ⁽⁶⁾
إليك - أبيت اللعن - كان وجيفها	بمشتبهات هولهن مهيب ⁽⁷⁾
هداني إليك الفرقدان ولاحب	له فوق أصواء المتان علوب ⁽⁸⁾

ولم يقتصر وصف الرحلة إلى الملك الممدوح على هؤلاء الشعراء بل امتد إلى شعراء الجاهلية بعامة وما جئت به فيما سبق مثال على هذا ليس إلا.

فالرحلة طويلة، والطريق صعبة وشاقة، والرغبة في لقاء الملك عارمة قوية، تحتاج إلى ناقة قوية سريعة تنقل الشوق إلى الممدوح.

(1) الديوان، ص 25، 26، 27.

(2) ناجية: ناقة سريعة - رقيب ضلوعها: ما ركبها من الشحم واللحم - الحارك: من الفرس فرع الكتفين (مقدم السنّام)

(اللسان - حرك). التهجير: السير في الهجرة (اللسان - هجر) - الذوب: المبالغة في السير (اللسان - دأب).

(3) مولعة: بقرة فيها خطوط سود، وكذلك بقر الوحش.

القنيس: الصائد - شوب: المنيّة.

(4) تعقق: اللواد والتعطف.

(5) الكلل: الصدر من كل شيء (اللسان - كلل) - القصرين: ضلعان قصيرتان تليان الخاصرتين.

والوجيب: الرعدة والاضطراب لشدة السير.

(6) قروب: اسم ناقتة.

(7) المشتبهات: طرق يشبه بعضها بعضها فهي تُشكّل على من سار فيها.

(8) المهيب: أي يهابه الناس (اللسان - هيب).

فإذا أرضى الشاعر نفسه بتصوير هذه الرحلة الشاقّة إلى الممدوح انتقل إلى المدح⁽¹⁾.

ومن الصفات التي امتدح بها الشعراء ملوكهم:

1- الكرم والجود:

فالمالك هو الكريم، وهو الربيع، والربيع خير وعطاء ووفرة، وبهجة للنفس، وجوده يرتبط بشجاعته وحزمه وقوّته، فهو بسيفه وكرمه استطاع أن يقطع دابر الفقر.

يقول النّابغة مادحاً الملك النعمان بن المنذر، ومعتذراً إليه، هاجياً مرّةً بن ربيع ابن قريع. وكان النعمان قبل ذلك غاضباً عليه⁽²⁾.

- الطويل -

وأنتَ ربيعٌ يُعِشُّ النَّاسَ سَيبِيَهُ وسيفٌ، أُعيرتُهُ المنِيَّةُ، قاطعُ

وهلاك الملك هلاكٌ للناس جميعاً كما صور ذلك النّابغة وقد وفد على النعمان بن المنذر
إبان اشتداد مرضه فقال⁽³⁾:

- الوافر -

فإنَّ يَهْلِكُ أبُو قابُوسَ يَهْلِكُ ربيعُ النَّاسِ، والشَّهْرُ الحرامُ

فأبو قابوس يعطي المحتاجين، فهو بمنزلة الربيع في الخصب لكثرة عطائه، وفي الوقت نفسه يحمي من يحتاج إلى حماية، فهو موضع أمن لكل خائف أو مستجير مثل الشهر الحرام.

والمالك في عطائه يُغني المحتاجين ويحميهم من الهزال، بل يفيض هذا العطاء كثيراً، فعطاؤه يشمل الكرم ويزيد عليه كثيراً.

(1) انظر: ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، ص52 وما بعدها.

ديوان الحارث بن حلزة البشكري، ص82.

ديوان عبيد بن الأبرص، ص43، 44، 45، ديوان النّابغة، ص145، 146.

(2) الديوان، ص127. وانظر الديوان، ص129.

(3) الديوان، ص169.

يقول الأعشى مادحاً قيس بن معد يكرب⁽¹⁾:

- الكامل -

هو الواهبُ الكومَ الصَّفَايا لِجَارِهِ يُشَبِّهَنَ دَوْمًا أَوْ نَخِيلاً مُكَمَّمًا
وعطاؤه لا حدود له، فهو لا يقتصر على إعطاء الإبل. بل يمتد إلى كل شيء، فهو
يُعطي الذهب والفضة والإماء، بل والدَّهَم من الخيل والدروع.

يقول الحارث بن حلزة اليشكري مادحاً قيس بن شراحيل بن همام بن ذهل بن شيبان⁽²⁾:

- الكامل -

أفلا نعدِّيها إلى مَلِكٍ شِهمِ المَقَادَةَ ماجِدِ النفسِ
وإلى ابنِ مَاريةَ الجِوادِ وَهَلْ شِروىَ أَبِي حَسَّانَ في الإنسِ
يحبُّوكَ بالزَّغَفِ الفَيَوضِ عَلى هَمِيانِها وَالدُّهَمِ كالغَرَسِ⁽³⁾
وَبِالسَّبِيكِ الصُّفْرِ يُعقِبُها بِالآيسَاتِ البِيضِ وَاللُّعْسِ⁽⁴⁾

وهاهو الأعشى الشاعر الجواله بين أطراف الجزيرة العربية وسواها من الأماكن لا
يغيب عن ذهنه أنه أمام ملك حيرى له مكانة ومنزلة رفيعة، فالأعشى في امتداحه للملك الأسود
بن المنذر اللخمي يجعل له موقعا ومكانة من الكرم خصصت للملوك فيقول⁽⁵⁾:

- الخفيف -

لا تَشْكِيَّ إِلَيَّ وانتجعي الأَسْمَ وَدَ أَهْلِ النَّدى وَأَهْلِ الفَعَالِ⁽⁶⁾

(1) الديوان، ص297، وانظر ديوان النابغة ص53، 103، 141، ديوان عدي ص54.

ديوان ليبيد ص109، ديوان زهير ص108، ديوان بشر ص155.

الصفايا: جمع صفية وهي الناقة الغزيرة اللبن - التالية: التي يتبعها تلوها والتلو - ولد الناقة يطمم فيتلوها. الحائل: التي لم تحمل (اللسان - حيل).

(2) الديوان، ص82، وانظر المفضليات ق(25) ص133 وما بعدها، ديوان ليبيد ص109.

(3) الزغف: الدرع المحكمة اللينة، الفيوض: السابغة، الهميان: كيس تجعل فيه النفقة ويؤشد على الوسط، الدهم جمع الأدهم: الأسود، الغرس: ما يغرس في الأرض.

(4) السبيك: القطعة من الذهب أو الفضة والمراد هنا الذهب للونه الأصفر، اللعس: جمع لعساء واللعس بفتحين سواد في الشفتين يضرب إلى الحمرة ولذلك يستلمح.

(5) الديوان، ص7.

(6) انتجعي: الانتجاع: طلب الكلاً ومساقط الغيث (اللسان - نجع)، ويقصد به هنا التماس الخير والرزق.

وقد بلغ النعمان الغاية في هذا الكرم وهذا الجود، فالجود متأصل فيه حتى نُسب إليه كما قال الأعشى⁽¹⁾:

- الخفيف -

فَرَعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصْنِ الْمَجْبِ دِ غَزِيرُ النَّدى شَدِيدُ الْمِحَالِ

والشاعر إذ يعمد إلى تأكيد صفة الكرم في الملك الأسود فإنه يتسع بمدلولها، ويعرضها في صور شتّى، ومنها صلته الدائمة بذوي القربى - هذه الصفة التي عرف واشتهر بها بين الناس -، والعطاء الدائم في الوقت الذي يعتذر فيه الآخرون، وكذلك عفوّه عن العاني والفداء فيقول⁽²⁾:

- الخفيف -

وَصِيْلَاتُ الْأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا سٌ وَفَكُّ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ
وَعَطَاءٌ، إِذَا سَأَلْتَ، إِذِ الْعِذُ رَةٌ كَانَتْ عَطِيَّةَ الْبُخَالِ

ويكاد يلتقي معه الشاعر حسان بن ثابت في مدحه النعمان بن المنذر حيث يقول⁽³⁾:

- الطويل -

وَأَلْفِيْتُهُ بَحْرًا كَثِيرًا فُضُولُهُ جَوَادًا مَتَى يُذَكَّرُ لَهُ الْخَيْرُ يَزْدَدُ
فالنعمان هو البحر في جوده، بل ويزيد عن ذلك.

أمّا الملك جبلة بن الأيهم الغسانيّ فعطاؤه وجوده كبيران، ولكن وبالرغم من ذلك يستقل ما يُعطي، رغم عظمه، يعبر عن ذلك قول حسان بن ثابت⁽⁴⁾:

- الكامل -

يُعْطِي الْجَزِيلَ وَلَا يَرَاهُ عِنْدَهُ إِلَّا كَبَعْضِ عَطِيَّةِ الْمَذْمُومِ

(1) الديوان، ص7.

(2) الديوان، ص9.

(3) الديوان، ص112، وانظر ديوان الأعشى ص91، النابغة، ص84.

(4) الديوان، ص321.

وجود الملوك نهر متدفق، لا ينضب، يبحر في عُبابه النَّاس، ينهلون منه، بل إن الملك هو نهر الفرات الذي يتدفق في أرض العراق، يمنح الخصب والماء، ويبيت في النَّاس الحياة، بل إنه أجود من الفرات في زمن كان جل اعتماد النَّاس على الماء والكلاً. ووجود الملوك شبهوا الفرات، حيث يقول النَّابغة واصفاً عطاء النعمان من قصيدة مدحه بها، واعتذر له عمّا رماه به المنخل اليشكري وأبناء قريع مبرئاً نفسه من أكاذيبهم⁽¹⁾:

- البسيط -

فما الفُراتُ، إذا هَبَّ الرِّياحُ له،	ترمي أواذِيهَ العِبرينِ بالزَّبَدِ ⁽²⁾
يَمُدُّه كُلُّ وادٍ مُتَرَعٍ، لَجِب،	فيه رِكامٌ من الينبوتِ والخَصَدِ ⁽³⁾
يَظَلُّ، من خوفِهِ، المَلَّاحُ مُعْتَصِماً	بالخِيزرانةِ، بَعَدَ الأينِ والنَّجَدِ ⁽⁴⁾
يوماً، بأجودَ منه سَيِّبَ نافِلَةٍ،	ولا يَحُولُ عطاءُ اليومِ دونَ غَدِ

فالنعمان أعظم عطاءً من الفرات، فإذا عرفنا عظمة الفرات، وتذكرنا حرص النَّاس على امتلاك المياه، - وهي نادرة في أغلب منازلهم -، أدركنا عظمة العطاء وشموله وقوة المعطى وجبروته⁽⁵⁾.

وقد تكررت مبالغات الشعراء المحمودة في الحديث عن جود الملوك وتشبيهمهم النهر والبحر بهذا الجود فهذا الأعشى يمدح الملك قيس بن معد يكرب فيقول⁽⁶⁾:

-
- (1) الديوان، ص58، ديوان الأعشى ص29، 297، 39، ديوان عبيد بن الأبرص ص45.
- (2) أواذيه: مفردا أذي: الموج، العبرين: الشاطئين (اللسان - عبر)، الزبد: ما يطرحه الوادي إذا جاش ماؤه واضطربت أمواجه
- (3) الينبوت: شجر الخشخاش، وقيل: هي شجرة شائكة، لها أغصان وورق (اللسان - نبت).
- (4) الخيزرانة: لجام السفينة التي يقوم بها السكان، وهو في الذنب (اللسان - خزر). الدقة: النجد: العرق، الأين: الفتور والإعياء.
- (5) اسليم: فاروق أحمد، الانتماء في الشعر الجاهلي، ص283، 284.
- (6) الأعشى، ص39.

- المتقارب -

وَمَا مُزِيدٌ مِنْ خَلِيَجِ الْفِرَا
تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ⁽¹⁾
يَكْبُ الْخَلِيَّةَ ذَاتَ الْقِلَاعِ
عَ قَدِ كَادَ جَوْجُوهَا يَنْحَطِمُ⁽²⁾
تَكَأكَأَ مَلَّاحُهَا وَسَطَهَا
مِنَ الْخَوْفِ كَوَثَلَهَا يَلْتَزِمُ⁽³⁾
بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ
إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْنَمُ⁽⁴⁾

فليس الفرات إذا أزيد وتلاطمت أمواجه، فكبّ السفينة ذات القلاع لوجهها، حتى يكاد صدرها أن ينحطم، فتري الملاح يتمايل وسطها وقد لجأ إلى المؤخرة لشدة خوفه. ليس هذا النهر الفيّاض الجيّاش بأجود منه في وقت الجدّب حين ينقطع المطر وتمسك السماء.

أما الملك عند الشاعر عبيد بن الأبرص فجوده وكرمه غير محدودين، بل هُما نبع متدفق يرفد الفرات فيزيده عطاءً، حيث يقول في الملك شراحيل بن عمرو بن معاوية الجون ابن حُجر آكل المرار⁽⁵⁾:

- الكامل -

وإلى شراحيلَ الهُمامِ بِنَصْرِهِ
نَصَرَ الْأَشْيَاءَ سَرِيئُهُ مُسْتَرْغَدُ
مَنْ سَأِيئُهُ سَحُّ الْفُرَاتِ وَحِلْمُهُ
يَزِنُ الْجِبَالَ وَيَلْبَهُ لَا يَنْفَدُ
ولكثره جود ملوك الغساسنة وكرمهم، منازلهم مفتوحة للأضياف والطّراق والعفاة، حتى لتأنس كلابهم بالقصّاد، فلا تهر على أحد، وهم لا يسألون من يقبل عليهم أو يؤم ديارهم، يقول حسان ابن ثابت مادحاً ملوك الغساسنة⁽⁶⁾:

- الكامل -

يغشون حتى ما تهرُّ كلابهم
لا يسألون عن السّوادِ المُقبِلِ.
يسقون من ورد البريص عليهم
"بردى" يصفق بالرحيق السّلسل⁽⁷⁾

(1) مزيد: يعلوه زيد الأمواج - جون: أبيض (اللسان - جون) - غواربه: غارب كل شيء أعلاه (اللسان - غرب).

(2) الخلية: السفينة الكبيرة - القلاع: شراع السفينة (اللسان - قلع) - جَوْجُوهَا: السفينة: صدرها.

(3) تكأكأ: تمايل من الخوف - كوثل السفينة: ذنبها ومؤخرها.

(4) الماعون: المنفعة والعطية (اللسان - معن).

(5) الديوان/ق(13)، ص45.

(6) الديوان، ص247، وانظر الشعر والشعراء، ص296، 297.

(7) البريص: نهر يتشعب من بردى - يصفق: يمزج - الرحيق: الخمر (اللسان - رحيق).

ولم يكن جود الملوك وكرمهم طارئاً محدثاً، وإنما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم، فقد كانوا يفيضون على الناس من خيرهم، ويكفونهم في كل شدة، فهذا النابغة الجعدي يمدح آل جفنة فيقول⁽¹⁾:

- الكامل -

إذا ملك من آل جفنة خاله وأعمامه آل امرئ القيس أزهرا
يرد علينا كأسه وشواءه مُناصفةً والشَّر عبيّ المُحبرا

وهم الملوك ولكنهم في الوقت نفسه إخوان كرماء عرفوا بالتواضع، يحكمون العربي الشقيق الضيف في أموالهم، ويقربونه في ضيافتهم، فيشعر أنه رب المنزل، وأنه انتقل من أهل إلى أهل، يقول النابغة الذبياني مادحاً الملك النعمان بن المنذر⁽²⁾:

- الطويل -

مُلوكٌ وإخوانٌ، إذا ما أتيتهم، أحكّم فني أموالهم، وأقربُ
وكانني بالملوك هم الذين يهبون الحياة للناس، فعطاؤهم هو الحياة، وهم مصدر الدفء والضياء. فالملك هو الشمس في كرمها وفيضها على الوجود. وهكذا كان النعمان، فهو شمس العطايا والإنعام على الخلق، وهو يدرك كل شيء، ولا يفوت فضله أي إنسان، فهو المنة الإلهية، والهبّة الربّانية، يعبر عن ذلك قول النابغة مادحاً النعمان بن المنذر⁽³⁾:

- الطويل -

ألم تر أنّ الله أعطاك سورةً، ترى كلّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
فأنك شمسٌ، والملوك كواكبٌ، إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبُ

ويقرر النابغة الذبياني، ومن خلال مدحه الملك عمرو بن الحارث الأصغر، بأن كرم الملوك وجودهم شيمَةً يتقدرون بها، بل يرى أنّ الله قد اختصهم بهذه الصفة دون غيرهم من الناس فانفردوا بها، فيقول⁽⁴⁾:

(1) الديوان، ص37.

(2) الديوان، ص24، وانظر نشوة الطرب 568/2.

(3) الديوان، ص25، وانظر شعراء النصرانية قبل الإسلام، ص656.

(4) الديوان، ص34.

- الطويل -

لهم شميمة، لم يُعْطِها اللهُ غَيْرَهُمْ منَ الجودِ، والأحلامُ غيرُ عَوَازِبِ⁽¹⁾
والملك من يمنح الحياة لمن حولهُ، فهو الخير الدائم، وهو العطاء الوافر يأمن من حوله
غوائل الدهر. وموته فيه فقدان للحياة، إذ هو سلوتهم وعطاؤهم، وهو بهجة النفس يعبر عن ذلك
قول النابغة الذبياني في مدح النعمان بن المنذر⁽²⁾:

- الطويل -

فإن تحيَ لا أمَلُّ حياتي، وإن تمتُ، فما في حياتي، بعد موتك، طائلُ

2- القوة والشجاعة:

لم يكن الملك كريماً جواداً معطاءً فقط، بل كان شجاعاً مقداماً لا يعوقه الليل عما يهَمُّ به
من أمر، ولا يحول دون إنقاذه. فهو كثير الخروج، كثير الهجر لفراشه النَّاعم. وإذا كَشَّرت
الحرب عن أنيابها لم يكن متوانياً، وبقوته وشجاعته يكيد الأعداء ويطأهم بقوة وطء البعير المقيد
الذي يدوس بكلتا يديه، يقول الأعشى في النعمان بن المنذر⁽³⁾:

- الطويل -

إلى ملكٍ لا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ خَرَجَ تَرُوكِ لِلْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ
طويل نجاد السيفِ يَبْعَثُ هَمَّهُ نيامَ القَطَا بالليلِ في كلِّ مَهْجَدِ
فما وَجَدْتَكَ الحَرْبُ إِذْ فُرَّ نايُها على الأَمْرِ نَعَّاساً على كُلِّ مَرْصَدِ
لَعَمْرُ الَّذِي حَجَّتْ فُرَيْشُ قَطِينَهُ لَقَدْ كِدْتَهُمْ كَيْدَ امْرِئٍ غَيْرِ مُسْنَدِ

والملك الشجاع دوماً لديه من الجرأة والبسالة ما يجعله يفتحم ميادين الحرب دون ترس
يحميه، وبيده سيف يضرب به الأقران تاركاً فيهم آثاره وقد آمن بينه وبين نفسه بأنَّ الإنسان لا
يُدُّ أنه سيموت، فلا داعي للخوف، فلكل امرئ أجل مضروب، وقد تجلى هذا واضحاً عند العديد
من الشعراء ومنهم الأعشى في مدحه الملك قيس بن معد يكرب حيث يقول⁽⁴⁾:

(1) الأحلام: العقول، العوازب: الواحد عازب وهو الغائب.

(2) الديوان، ص141، وانظر ص169 وما بعدها.

(3) الديوان، ص189 وما بعدها.

(4) الديوان، ص33، ص107، ص39، ص169، وديوان النابغة ص156، ونشوة الطرب ص162، ومروج الذهب

ومعادن الجوهر 59/2، وتاريخ اليعقوبي ص200، والعرب قبل الإسلام، ص151.

- الكامل -

وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرَسَاءُ تُغْشِي مَنْ يَنْزُودُ نَهَالَهَا (1)
كُنْتَ الْمَقْدَمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا (2)
وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَنْفَهَا مَا كَانَ خَالِقَهَا الْمَلِيكُ قَضَى لَهَا (3)

والملك لقوته، حين يدخل المعركة لا يهجم إلا على رئيس القوم، وشجاعته بلغت حدًا يفوق العادة، إنه يخوض المعركة دون خوف أو وجل، وإذا ما توسطها ترك الضعيف فيهم إلى القوي، يقول حسّان بن ثابت مادحاً ملوك الغساسنة وهو في حضرة الملك الغساني عمرو ابن الحارث (4):

- الكامل -

لَلَّهِ دَرٌّ عِصَابَةٌ نَادَمْتُهُمْ يَوْمًا بَجَلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ (5)
الضَّارِبُونَ الْكَبِشَ يَبْرِقُ بَيِّضُهُ ضَرْبًا يَطِيحُ لَهُ بَنَانُ الْمِفْصَلِ (6)
وَالخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بَغْنِيهِمْ وَالْمَنْعُمُونَ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُرْمِلِ

وبلغ كرم تواضعهم أنهم يخالطون الفقير المعدم، وأخلاقهم طيبة، ولكرم أخلاقهم فهم لا يفرقون بين الغنى والفقير.

وامتدت هذه الشجاعة من الملك إلى جيشه. فجيشه قوي قادر على إبادة الأعداء، فهو غضب القدر، بل إن الثقة بشجاعة الملك وجيشه امتدت إلى طيور السماء التي تصاحبهم في غزواتهم، لتقتها الأكيدة في انتصار الملك على أعدائه، وقد سجل ذلك النابغة في مدحه عمرو ابن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبي شمر حين لجأ إلى الشام بقوله (7):

(1) ملمومة: مجتمعة.

(2) الجئة: ما وارك من السلاح واستترت به منه (اللسان - جن) - أعلمه: جعل عليه علامة (اللسان - علم).

(3) الحنق: الموت.

(4) ديوان حسّان بن ثابت، ص 247.

(5) جلق: قيل هي دمشق وقيل موضع يقربها.

(6) البيض: جمع بيضة وهي الخوذة، سميت بذلك لأنها على شكل بيض النعام. يطيح: يذهب - بنان المفضل: أطراف الأصابع من اليدين والرجلين (اللسان - بنن).

(7) الديوان، ص 29-31.

- الطويل -

كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانٍ، غَيْرُ أَشَائِبِ (1)
أُولَئِكَ قَوْمٌ، بِأَسْهُمٍ غَيْرُ كَاذِبِ
عَصَائِبُ طَيْرٍ، تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ (2)
جُلُوسَ الشَّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمِرَانِبِ
إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ، أَوْلُ غَالِبِ

وَتَقَّتْ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ
بَنُو عَمِّهِ دُنْيَا، وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ، حَلَقَ فَوْقَهُمْ
تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عِيُونُهَا
جَوَانِحَ، قَدْ أُيْقِنَ أَنْ قَبِيلَهُ

وغزواته لا تكون إلا من أجل الأمور الشريفة كإثبات الحق، وبعث الطمأنينة والهدوء في مناطق، مستعيناً بالخيل الكريمة الطويلة التي تتحمل أعباء الحرب والحر. يقول النابغة مادحاً

- الوافر -

عمرو بن الحارث الغساني (3):

عَلَى الذَّهْيُوطِ، فِي لَجِبِ لُهَامِ (4)
وَيَعْمِدُ لِلْمُهَمَّاتِ الْعِظَامِ
وَسَلْهَبَةٍ تُجَلَّلُ فِي السَّمَامِ (5)

وَمَغْزَاهُ قِبَائِلَ غَائِظَاتِ
يُقَدِّنَ مَعَ امْرِئٍ يَدْعُ الْهُوَيْنَا
أُعِينَ عَلَى الْعَدُوِّ، بِكُلِّ طَرْفٍ،

(1) غير أشائب: لم يخالطهم أحد.

(2) عصائب طير: جماعة طير - جوانح: مائلات للوقوع (اللسان - جنح).

(3) الديوان، ص 174، 175.

(4) مغزاة: غزوته، الدهيوط: اسم أرض، اللجيب: الجيش العظيم ذو الصوت. اللهم: الذي يلتهم كل ما يمر به (اللسان - لجب).

(5) السلهية: الفرس الطويلة، تجلل: يوضع عليها الجل وهو يشبه الثوب للإنسان لتصان به. السمام: الحر.

3- السيادة والمكانة:

احتل الملوك مكانة مرموقة بين الناس، اختلفت عن مكانة غيرهم من عامة الناس، ومن الدلائل على هذه المكانة وهذا التمايز أن دية الملك كانت تختلف عن دية غيره من الناس، فقد كانت دية الملك ألف ناقة في حين كانت دية النفس من العامة مئة من الإبل، حكم اصطلاح عليه الناس، ورضوا به وسجله الحطيئة في شعره، فقال⁽¹⁾:

- الطويل -

أبوهم ودَى عَقَلَ الملوكِ تكفُّفاً
وما لَهُم مَمَّا تكفَّفَهُ بُدُّ (2)
تكلَّفَ أثمانَ الملوكِ فساقها
وما غضَّ عنه من سؤالٍ ولا زندٍ (3)
حمالةٌ ما جرَّت فتاكَةً ظالمٍ
حمالةٌ ملكٍ لم يكن مثلاً بعدُ (4)
هُم حملوا الألف التي جرَّ جارمٌ
وردوا جياد الخيل ضاحيةً تعدو (5)
ويقول قراد بن حنش الصاردي⁽⁶⁾:

- الطويل -

ونحن رهنا القوس ثمت فوديت
بالف على ظهر الفزاري أقرعا
بعشرٍ مئينٍ للملوكِ سعى بها
ليوفى سيار بن عمرو فأسرعا
ومن مظاهر هذه المكانة حملة وقت مرضه على أعناق الرجال، حيث قال النابغة حين وفد على النعمان بن المنذر إبان اشتداد مرضه⁽⁷⁾:

- الوافر -

ألم أفسم عليك لتخبرني
أحمول، على النعش، الهمام

(1) الديوان، ص75، 76.

(2) ودَى: من الدية، والعَقْلُ: الدية.

(3) أثمان الملوك: يُريد دية الملوك، غضَّ عنه: نال من قدره وانتقص، السؤال: يعني القول والفعل.

(4) الحمالة: الدية والغرامة التي يحملها قومٌ عن قوم، جرت فتاكَةً، ظالم: أي أنه تحمل الديات درءاً للحرب وللظلم.

(5) حملوا الألف: أي الدية، وكانت ألف ناقة، جرَّ جارم: سببها مذنب، الضاحية: الظاهرة.

(6) قراد بن حنش الصاردي بن عمر الخطفاني المروي من بني صاردة من فزاره من شعراء غطفان المشهورين في

الجاهلية. معجم الشعراء الجاهلين، ص291، الأعلام، 33/6. الألويسي، شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب

22/3، 27.

(7) الديوان، ص169.

ومما يدل على عظم هذه المكانة ورفعتها استشفاء النَّاس من بعض الأمراض، بدماء الملوك، فكانوا إذا أصاب الرَّجُل الكلب قطروا له دم رجل من بني ماء السماء، وهو عامر ابن ثعلبة الأزدي، فيُشفى منه المريض، قال بعض المربين وهو أبو الفرج بن حنبل المري⁽¹⁾:

- الوافر -

بناة مكارم وأساءة كلم دماؤهم من الكلب الشفاء

وهذا ما أكده ابن عيَّاش الكندي حين قال لبني أسد في قتلهم حجر بن عمرو⁽²⁾:

- الطويل -

عبيد العصا جنتم بقتل رئيسكم تُريقون تاموراً شفاء من الكلب

ودماؤهم أيضاً شفاء من داء الجنون والخبيل قال المثلث الضبعي⁽³⁾:

- الطويل -

من الدارميين الذين دماؤهم شفاء من الداء المجنة والخبيل

وقال عامر بن الطفيل⁽⁴⁾:

- الطويل -

وإن أغز حبي ختعم فدماؤهم شفاء وخير الثأر للمتأوب⁽⁵⁾

ويقول المتقّب العبدي⁽⁶⁾:

- الرمل -

با جريِّ الدّم، مُرّ طعمه يُبريء الكلب إذا عَضَّ وهَرّ

(1) ابن دريد: الاشتقاق، ص 20، 21.

(2) الحيوان، 7/2.

(3) الديوان، ص 135.

(4) الديوان، ص 69.

(5) الديوان، ص 69. المتأوب: الذي يأتيك لطلب ثأره منك. يقال: آب يؤوب إذا رجع. والتأويب في غير هذا: السير في النهار بلا توقف.

(6) الديوان، ص 38،

وقال عوف بن الأحوص⁽¹⁾:

- الوافر -

أو العنقاء ثعلبة بن عمرو
دماء القوم للكأبي شفاء
وقال عاصم بن القرية وهو جاهلي⁽²⁾:

- الطويل -

وداويته مما به من مجنة
وقلده دهرًا تميمة جدّه
دم ابن كهل والنطاسي واقف
وليس لشيء كاده الله صارفُ

وإذا كان المرضى يستشفون بدماء الملوك، فقد وجدت المرأة المقلات التي لا يعيش لها ولد في دماء الملوك روحاً، تنبت في مواليدهن الجدد، إذا ما وطئن بأقدامهن قبل الوضع جثة الملك.

- الطويل -

قال بشر بن أبي خازم⁽³⁾:

تظلُّ مقاليتُ النساءِ يطأُنه
يقلن: ألا يلقى على المرءٍ منزر⁽⁴⁾

- الوافر -

وقال آخر⁽⁵⁾:

تباشرت المقالت حين قالوا
ثوى (عمرو بن مرة) بالحفير

وكان للملوك تحيات تختلف عن تحيات سائر الناس، تدل على مكانتهم وتليق بهم. لها ألفاظها الخاصة بها. فقد كان العرب في الجاهلية يخصون ملوكهم بـ "أبيت اللعن" أي أبيت أن

(1) عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب بن ربيعة، يرجع نسبه إلى قيس بن عيلان بن مضر، معجم الشعراء الجاهليين، ص279، الاعلام، 274/5. الجاحظ: الحيوان 9/2.

(2) الجاحظ، الحيوان، 7/2.

(3) الديوان، ص88.

(4) المقاليت: جمع مقلات وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد، من القلت وهو الهلاك.

(5) الألويسي: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب 317/2، 318.

تأتي من الأخلاق المذمومة ما تُلعن عليه، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام، وكانت منازلهم بالحيرة وما يليها، وتحية ملوك غسان "يا خير الفتيان" وكانت منازلهم بالشام، وتحية بعض القبائل "اسلم كثيراً". أما التحية التي تكررت على السنة الشعراء فهي (أبيت اللعن) ويكاد لا يبتعد عنها شاعر انتجع الملوك.

قال النابغة مخاطباً النعمان بن المنذر معذراً⁽¹⁾:

- الطويل -

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع⁽²⁾

- الطويل -

وقال في موضع آخر⁽³⁾:

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب⁽⁴⁾

أيديهم، حين يدخلون عليهم في تطبيق عملي للخضوع والسيادة، وتعبير واضح عن الإجلال والتعظيم، يقول الأعشى مادحاً قيس بن معد يكرب من ملوك كندة⁽⁵⁾:

- المتقارب -

فلما أتانا بُعيد الكرى سجدنا له ورفعنا عمارة⁽⁶⁾

ويقول الأعشى مادحاً الأسود بن المنذر اللخمي؛ لإطلاق سراح قومه⁽¹⁾:

(1) الديوان ص 123.

(2) تستك: تضيق، تصمت، والسك: ضيق الصمّاح.

(3) الديوان، ص 23.

(4) أنصب: النصب: التعب.

(5) الديوان ق (5) ص 51.

(6) العمارة (بفتح العين): ريحانه كان الرجل يحيى بها الملك مع قوله: عمرك الله.

- الخفيف -

أُرِيحِي صُلْتُ يَظُلُّ لَه الْقَوُّ مُرْكُوداً قِيَامَهُمْ لِلْهَلَالِ⁽²⁾

ومن إمارات عزّة الملوك وسيادتهم، حمايتهم للأماكن التي يريدونها، فهذا كليب وائل كان إذا مرّ برمضة أعجبتة، أو بغدير أعجبه، أعلن حمايته عليها، أو عليه، وأجار فيه الطير، والحيوان⁽³⁾.

حتّى قالت العرب (أعز من كليب وائل)⁽⁴⁾. يقول كليب بن وائل بن ربيعة بن مرة التغلبي⁽⁵⁾:

- الرجز -

يا لك من قُبْرَةَ بِمَعْمَرِي لا ترهبي خوفاً ولا تستتكري
قد ذهب الصيادُ عنك فابشري ورُفِعَ الفُخُّ فماذا تحذري
خلا لك الجوُّ فبيضي واصفري ونقّري ما شئت أن تُتْقَري
فأنت جاري من صُرُوفِ الحَدْرِ إلى بلوغِ يومِك المَقْدَرِ
ويقول أيضاً⁽⁶⁾:

- الوافر -

سَيَعْلَمُ آلُ مُرَّةٍ حَيْثُ كَانُوا بَأَنَّ حِمَايَ لَيْسَ بِمَسْتَبَاحِ

وفي ألقاب الملوك ما يدل على المنزلة والمكانة العالية، فقد كانوا يلقبون بالأرباب، ولعل امرأ القيس كان أول الشعراء الجاهليين في تقرير حقيقة أن الملوك أرباب، حين أسبغ هذه التسمية على عمه الملك شرحبيل "في معرض هجائه من كان سبباً في الإحجام عن نصرته⁽¹⁾ وذلك في قوله⁽²⁾:

(1) الديوان ق(1) ص9، وانظر جمهرة أشعار العرب، ص123.

(2) الأريحية: الارتياح للندى وفعل الخير، صلت: ماض.

(3) علي: جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 270/6.

(4) الميداني، مجمع الأمثال، 42/2.

(5) ذيل ديوان المهلهل بن ربيعة، تحقيق طلال حرب، دار صادر، بيروت، 1996، ص 95، الموسوعة الشعرية/المجمع الثقافي 2001، كليب بن ربيعة.

(6) الموسوعة الشعرية/المجمع الثقافي 2001، كليب بن ربيعة.

(1) النعيمي إسماعيل، الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص840

(2) الديوان، ص19.

- الطويل -

ألا قَبَّحَ اللهُ البراجِمَ كُلَّهَا وَجَدَّعَ يربوعاً وَعَفَّرَ دارِما
فما قاتلوا عن ربِّهم ورببيهم ولا آذَنوا جاراَ فَيَظَعْنَ سالِما

- المتقارب - وقول الأعشى مادحاً الملك قيس بن معد يكرب⁽¹⁾:

فَدُونَكُمْ رَبُّكُمْ حَالِفُوهُ إِذَا ظَاهَرَ الْمَلِكُ قَوْمًا ظَهَارًا⁽²⁾

ويقول الحارث بن حلزة اليشكري في معرض مدحه الملك عمرو بن هند⁽³⁾:

- الخفيف -

وهو الرَّبُّ والشَّهيدُ على يَوْ م الحَيَارِينِ والبَلَاءِ بَلَاءِ

كما لُقِبَ الملوك بألقاب خاصة بهم دلَّت على مكانتهم، مثل الملك عامر بن حارثة الأزدي، والذي عُرِفَ (بماء المزن). وقد عُرِفَ بهذا الاسم لأنه كان إذا نزل بقومه جذب فتح بيوت أمواله وعالهم حتَّى يُخصبوا، فكان يقوم مقام المطر.

أوليس من الإقرار بمكانة الملوك أن يوصفوا بالاعتدال على ما يعجز عنه الناس؟!!

وقد عبّر الملوك أنفسهم والشعراء عن هذا التمايز في المكانة بين الملوك والعامّة، فهذا الملك امرؤ القيس يفتخر بنسبه الملكي فيقول⁽⁴⁾:

- البسيط -

ما يُنكرُ النَّاسُ مِنَّا حينَ نَمَلِكُهُم كانوا عبيداً وكنّا نحنَ أربابا
نحنُ الملوكُ وأبناءُ الملوك لنا ملك عاش به هذا النَّاسُ أحقابا⁽¹⁾

(1) الديوان ص 49.

(2) ربكم: سيدكم، ظاهر: عادل.

(3) الديوان ص 55.

(4) الديوان ص 279.

(1) أحقابا: الحُقب - الحُقب: المدة الطويلة من الدهر ثمانون سنَد أو أكثر (اللسان: حقب).

يؤيده في ذلك قول عبيد بن الأبرص الذي يُقر للملك حجر بن الحارث بأنه ملك على من سواه⁽¹⁾:

- مجزوء الكامل -

أَنْتَ الْمَلِيكُ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
ليس هذا فقط، بل إنَّ عدي بن زيد يقر بأنَّ الملوك أخذوا هذه المكانة بقضاء من الله، ومنهم النعمان بن المنذر، الذي خصّه الله وفضله على النَّاس، فقال⁽²⁾:

- الرمل -

أَجَلَ أَنْ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ فَوْقَ مَنْ أَحْكَأَ صُلْبًا بِأَزَارِ⁽³⁾
وللملوك على النَّاس أيد عظيمة، لا يقدر على مثلها أحد من النَّاس، يقول النَّابغة الذبياني في النعمان بن المنذر⁽⁴⁾:

- البسيط -

وَلَا أَرَى فَاعِلًا، فِي النَّاسِ، يُشْبِهُهُ، وَلَا أَحَاشِي، مِنَ الْأَقْوَامِ، مِنْ أَحَدٍ⁽⁵⁾
إِلَّا سُلَيْمَانَ، إِذْ قَالَ الْإِلَهَ لَهُ: قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ، فَاحْدُثْهَا عَنِ الْفَنَدِ⁽⁶⁾
فالنعمان ملك ارتضى لحكم النَّاس، فقام بأعمال تشبه أعمال الأنبياء المكلفين من الله بإقامة العدل، وبعمران الأرض، وإصلاح المجتمع، ولأنَّ النعمان كذلك، فقد بوأه الله هذه المنزلة العظيمة.

ولم يكتف الشعراء بذلك فقد أسبغوا على الملوك صفات مغايرة لصفات البشر فقد نسب إلى علقمة الفحل قوله في الحارث بن جبلة الغساني⁽¹⁾:

(1) الديوان ص126.

(2) الديوان ق(17) ص94.

(3) الصلب: الحسب، احكأ: احكم الشد.

(4) الديوان ص52، وانظر شعراء النصرانية قبل الإسلام ص663.

(5) أحاشي: استنتى.

(6) الفند: الباطل والكفر.

(1) الديوان ص83.

- الطويل -

ولستَ لِإنسِيٍّ وَلكنَ لِمَلَاكٍ تَنزَلُ مِن جَوِّ السَّمَاءِ يَصُوبُ⁽¹⁾
فالحارث ليس بولد إنسان، وإنما هو ملك نزل من السماء، فعاله عظيمة لا يقدر على
مثلها أحد. إنه وجود مغاير للبشر، فيه طهارة الملائكة، وقدسية التنزيل من السماء.

ولا عجب والأمر كذلك أن يكون دم الملوك حراماً، وأن يعتقد بأنه شفاء للناس من داء
الكلب ومن الخبل والجنون كما وضحت من قبل⁽²⁾.

وهذا التأييد يظهر لدى المثقب العبدى في مدحه لأبي قابوس، حيث يقول⁽³⁾:

- الطويل -

فلو عَلِمَ اللهُ الجِبَالَ ظَلَمَنَّهُ أَتَاهُ بِأَمْرَاسِ الجِبَالِ يَقُودُهَا
فهو المؤيد من الله، فانه ينصره، ولو عَلِمَ أَنَّ الجبال ستخالف أوامره، لربط الجبال
بالحبال، وسلمها لأبي قابوس خاضعة منقادة.

(1) يصوب: ينزل.

(2) انظر ص 26 من هذه الرسالة.

(3) شرح الديوان: ص 47. والمفضليات، ص 149، 152. وانظر شعراء النصرانية قبل الإسلام ص 41.

الحكمة:

فرضت البداوة على الناس في الجاهلية، سफراً متصلاً، ورحلة دائمة، تبدأ من المولد، وتنتهي بالوفاة، غير أن الرحلة الأخيرة - رحلة الموت - هي التي كانت تستوقف العقل البشري، وتدفعه إلى التأمل، حتى يستسلم إلى قدر الموت.

أدرك الشاعر أنّ الموت نهاية الحياة، هذا الموت الذي يفسد اللذات، وينهي الحياة، فوقف أمامه مستسلماً باحثاً لنفسه عن فلسفة في الحياة، وأخذ يُعزّي نفسه، يذكر ما حلّ من مصائب، فالحياة لا تدوم، والموت لا مهرب منه لأيّ حيٍّ مهما تمكن من القوة والصلابة. وقد توصل الشاعر الجاهلي إلى هذه النتيجة بعد تأمل ما حوله. فكان لا بُدَّ أن ينظر إلى الأمم السابقة، لا سيما العظماء والملوك أو من كانوا بمنزلة الآلهة.

رأى الشاعر الملوك والعظماء الذين كانت في أيديهم كل أسباب الحياة مثل القصور، والحدائق الغناء، والمياه الجارية، ورأى أسباب المتعة والقوة عندهم، كما رآهم وهم يعجزون عن حماية أنفسهم من الموت، فكيف به وهو لا يملك شيئاً؟!!

يقول لبيد بن ربيعة في رثاء النعمان بن المنذر، متفكراً في حياة الملوك الذين كانوا قبله ثم عدت عليهم عوادي الدهر فراحوا⁽¹⁾.

- الطويل -

إليه العبادُ كلُّها ما يُحاولُ
مُشعَّشةً ممّا تُعتقُ بابلُ
بسِيِّدِها والأريحيُّ المنازلُ
وعشرينَ، حتّى فادَ والشَّيبُ شاملُ
لعمركَ إلا أنْ نُخبَّرَ سائلُ
وأَي نعيمٍ خلّته لا يُزايِلُ

له الملك في ضاحي معدّ وأسلمت
إذا مسَّ أسار الطيور صفت له
وغسَّانُ ذلت يومَ جلق ذلة
رعى خرزات الملك عشرين حجّة
فبادوا فما أمسى على الأرض منهم
وأمسى كأحلام النيام نعيمهم

(1) الديوان ص145، 149

وانظر: الشورى: مصطفى، شعراء الرثاء في العصر الجاهلي/ دراسة فنية ص17، 18. وطليمات، غازي والأشقر، عرفان: الأدب الجاهلي قضاياها وأعراضه - أعلامه - فنونه ص262.

ويقول أيضاً ذاكراً جبروت الموت آخذاً العبرة ممن فنى من الملوك العظماء⁽¹⁾:

- الكامل -

غَلَبَ اللَّيَالِي خَلْفَ آلِ مُحَرَّقٍ وَكَمَا فَعَلْنَ بِنُبُوعٍ وَبِهَرَقَلِ⁽²⁾
وَوَغَلَبْنَ أَبْرَهَةَ الَّذِي أَلْفَيْتُهُ قَدْ كَانَ خَلَدًا فَوْقَ غُرْفَةِ مَوْكِلِ⁽³⁾
وَالْحَارِثُ الْحَرَابُ خَلَى عَاقِلًا دَارًا أَقَامَ بِهَا وَلَمْ يَتَّقَلِ⁽⁴⁾

ويقول الباني بن قطن بن همدان معتبراً بالملوك أيضاً⁽⁵⁾:

- الخفيف -

أَيُّهَا السَّائِلُ الْحَوَادِثَ جَهْلًا هَلَا سَأَلْتَ الزَّمَانَ عَنْ شَمْرِ يَرَعِشَ
مَلِكٍ أَطَدَّ الْجِبَالَ فَذَلَّتْ وَأَطَاعَتْهُ حَيْثُ يَمْشِي فْتَمْشِي
لَمْ يَهَبْ لِلزَّمَانَ صِرْفًا فَأَعْطَاهُ مَقَالِيدهُ عَلَى غَيْرِ غَشِّ
سَاعَدْتَهُ الْأَيَّامُ حَتَّى إِذَا مَا وَجَدْتَ هَفْوَةَ أَرَأَشْتِ بَهْشِ⁽⁶⁾
قَصَدْتَهُ مِنَ الْمَنُونِ سَهَامًا حَمَلْتَ شَلُوهُ عَلَى ظَهْرِ نَعِشِ⁽⁷⁾

وينظر الأسود بن يعفر النهشلي في حياة الملوك، الذين تخيروا أجمل بقاع الدنيا وأطيبها فسكنوها، وشيدوا القصور فيها، واقتصوا من متاع الحياة ولذتها ما شاء لهم، وما استطاعوا، عاشوا وتمتعوا بملك عظيم ثم راحوا وتركوه أطلاقاً تذروها الرياح، فإذا النعيم يصير إلى فناء فيقول⁽⁸⁾:

- الكامل -

مَازَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقٍ تَرَكَوْا مَنَازِلَهُمْ وَبَعَدَ إِيَادِ

(1) الديوان ص 171، 172.

(2) خَلْفَ: البقية من النَّاسِ.

(3) غُرْفَةُ مَوْكِلٍ: اسم بيت كان للملوك.

(4) الْحَارِثُ الْحَرَابُ: الْحَارِثُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ حَجْرٍ.

(5) ابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير ص 249، 250.

(6) أَرَأَشْتِ: أضعفت. (اللسان: راش).

(7) الشُّلُو: العضو (اللسان: الشُّلَا).

(8) المفضليات، ص 217،

وانظر التيجان في ملوك حمير، ص 249، 250.

أَهْلَ الْخَوْرَنْقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ
أَرْضاً تَخَيَّرَهَا لِدَارِ أَبِيهِمْ
جَرَتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَكَانِ دِيَارِهِمْ
وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عَيْشَةٍ
نَزَلُوا بِأَنْقَرَةَ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوْا فَطَالَ بِنَاؤُهُمْ
فَإِذَا النَّعِيمُ وَكُلُّ مَا يُلْهَى بِهِ
وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
كَعْبِ بْنِ مَمَّةَ وَابْنِ أُمِّ دَوْادِ (1)
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الْأَوْتَادِ
مَاءِ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ (2)
وَتَمَتَّعُوا بِالْأَهْلِ وَالْأَوْلَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ (3)

وما دام الأمر كذلك، ولأن الموت نهاية كل إنسان، فلا بُدَّ من الزهد في الحياة، ولا بُدَّ أن يكون الملوك والعظماء القدوة في ذلك وإياهم عنى عدي بن زيد العبادي حيث يقول عن النعمان بن المنذر (4):

- الخفيف -

وَتَأْمَلُ رَبَّ الْخَوْرَنْقِ إِذْ أَشْرَ
سِرَّهُ مَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلُ
فَارَعَوَى قَلْبُهُ وَقَالَ وَمَا غِيْرُ
رَفَ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَفْكِيرُ (5)
كَ وَالْبَحْرِ مُعْرِضًا وَالسَّدِيرُ (6)
طَةَ حَيِّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

ويؤكد ذلك الشاعر زهير بن أبي سلمى في رثائه للنعمان بن المنذر ذاكراً ما به من بأس وقوة وشجاعة، ومتعظاً أيضاً بالملوك السابقين حيث يقول (7):

- الطويل -

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَهْلَكَ تَبَعًا
وَأَهْلَكَ ذَا الْقَرْنَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا تَرَى
وَأَهْلَكَ لُقْمَانَ بْنَ عَادٍ وَعَادِيَا (1)
وَفِرْعَوْنَ، جَبَّارًا طَغَى، وَالنَّجَاشِيَا

(1) الخورنق: قصر بالحيرة، السدير: قصر أو نهر بالحيرة، بارق: ماء بالعراق. سنداد: نهر أسفل من الحيرة بينها وبين البصرة.

(2) كعب بن مامه: هو الإيادي، أحد أجواد العرب في الجاهلية، ابن أم دؤاد: يعني به أبا دؤاد الإيادي، وهو الشاعر المعروف.

(3) انقره: بكسر القاف وبضمها: بلد بالحيرة بالقرب من الشام، الأطواد: الجبال.

(4) الديوان ق (16) ص 89.

(5) الخورنق: قصر للنعمان بظهر الحيرة، والاسم فارسي معرب بسمه (الخرنكاه) وهو موضع الشرب، فأعرب.

(6) معروضاً: متسعاً، ومنه أعرض الثوب، أي اتسع وعرض.

(7) الديوان ص 107، 108.

(1) تبع: ملك اليمن، عاديا: أبو السمائل، وكان له حصن بتيماء.

ألا لا أرى ذا إمّة أصبحت به، فتركهُ الأيامُ، وهَي كما هي(1)
ألم ترَ للنعمان، كان بنجوة من الشرِّ، لو أن أمراً كان ناجياً(2)

الهجاء:

يُقصد بالهجاء الحط من شأن الفرد أو القبيلة، وكان الغضب الذي يصبه الشاعر على خصومه، ينتقص من مقامهم، وينسب إليهم ذميم الصفات.

ولما كان الهجاء نقيض الفخر والمدح فإن المعاني الشائعة فيه هي أضرار معانيهما، إنَّها المخازي التي يخجل منها العربي. وقد كان الهجاء يوجه في معرض الفخر أو في ثنايا المدح لأنَّ في تحقير المهجو رفعة للمفتخر به أو للممدوح. ولم يكن ليسلم من هذا الهجاء الخصم مهما علا شأنه وارتفعت مكانته ولو كان ملكاً.

لم تكن صلة الشاعر بالملك صلة ولاء وانتماء دائماً. بل كان هناك من الشعراء من أعلن تمرده على الملوك وجعل من فنه الشعري وسيلة للنيل من الملك ومكانته. وقد تعددت دواعي هجاء الملوك في العصر الجاهلي، وكلَّها لها علاقة بطبيعة ذلك العصر ومنها:

1. الظلم والجور

الظلم مر، وسم قاتل، لا تحتمله أنفة العربي، وقد كان ظلم الملوك ظاهراً مشهوراً وخير من يمثله عمرو بن هند، الذي كان شديد الزهو بنفسه، مغالياً في ازدراء الناس، حتَّى قسم حياته يومين: يوم بؤس يركب فيه للصيد يقتل أول من يلقاه، ويوم نعيم يخلو فيه لنفسه، والناس تقف ببايه فإن انتهى حديث رجل منهم أذن له. هذا الظلم كان مدعاة لتمرد العامة عليه. ومن ضمنهم الشاعر طرفة بن العبد الذي وصفه بالحمق والظلم واللؤم. وشكا ما كان يلقى منه، ومن قسمته الزمان بين النحس والسعد على نحو أرعن(1).

(1) ذا إمّه: النعمة والحالة الحسنة.

(2) النجوة: المعزل.

(1) الديوان ص108.

يقول طرفة حاجياً إياه⁽¹⁾:

- الوافر -

قَسَمْتَ الدَّهْرَ فِي زَمَنِ رَخِيٍّ كَذَلِكَ الحُكْمُ يَقْصِدُ أَوْ يَجُورُ
لَنَا يَوْمٌ وَلِلْكَرْوَانِ يَوْمٌ تَطِيرُ البَائِسَاتُ وَلَا نَطِيرُ⁽²⁾
فَأَمَّا يَوْمُهُنَّ فَيَوْمٌ نَحْسُ تُطَارِدُهُنَّ بِالحَدَبِ الصُّقُورُ⁽³⁾
وَأَمَّا يَوْمُنَا فَنَنْظِلُ رُكْبًا وَقُوفًا مَا نَحُلُّ وَمَا نَسِيرُ

هذا الظلم هو نفسه الذي دفع بالشاعر عمرو بن كلثوم للتمرد على الملك عمرو بن هند،

وقتلته حين حاولت أم الملك إذلال أمه، فقال⁽⁴⁾:

- الوافر -

بَأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرُو بَنَ هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا
بَأَيِّ مَشِيئَةٍ عَمَرُو بَنَ هِنْدٍ تَرَى أَنَا نَكُونُ الأَرْدَلِينَا
تَهَدِّدُنَا وَأُوْعِدُنَا رُوَيْدًا مَتَى كُنَّا لِأَمِّكَ مَقْتُونِينَا⁽⁵⁾
فَإِنَّ قَنَاتَنَا يَا عَمْرُو أُعِيَتْ عَلَى الأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَأِينَا

ويشير المتلمس إلى ظلم هذا الملك ويصف هذا الظلم بأنه موجود في فناء كل بيت

وواضح مثل البلق على جلود الخيل فيقول⁽⁶⁾:

- مجزوء الكامل -

والظلمُ مربوطٌ بأفـ نِيَّةِ البِيُوتِ أَعْرُ أُبْلُقُ⁽¹⁾

(1) الديوان ص108، 109، وانظر: أبو زيد: على إبراهيم: طرفة بن العبد/ شاعر البحرين في الجاهلية، ص177،

وتاريخ اليعقوبي ص210، وشعراء النصرانية قبل الإسلام ص305.

(2) الكروان: جمع كروان، طائر معروف، البائسات: المساكين.

(3) الحدب: ما ارتفع وغلظ من الأرض.

(4) الديوان ص79.

(5) مقتونينا: خدماً.

(6) الديوان، ص126.

(1) الأفيئة: مفردها الفناء، وهو ساحة الدار. الأغر: الأبيض من كل شيء. البلق:

ما كان لونه أسود وأبيض (اللسان - بلق).

ويلتقي معهم سُؤيد بن حَدَّاقِ الشَّني فيصف قصر عمرو بن هند بأنه مليء بالبق والحمى
والمصائب ثم يصف جوره وظلمه فيقول⁽¹⁾:

- الطويل -

فآليتُ لا آتي السَّديرَ وأهلَه وعمرو بن هند يعتدي ويجورُ
به البقُّ والحمى وكلُّ مصيبة ولو جاء منه بالحياة بشيرُ
واتخذ الملوك الترهيب وسيلة للسيطرة على العامة، سواء بالقوة المباشرة، أو بإرسال
أبناء لهم، أو أتباع مخلصين يعيشون في القبائل، ليكونوا ظلَّهم فيها، فهذا عمرو بن هند يحرق
بني تميم بالنار، وكان بنو دارم قد قتلوا أخاه أسعد بن المنذر، فحلف أن يقتل منهم مائة بالنار،
فهجم عليهم يوم أواره الثاني، وحُمل له تسعة وتسعون فرماهم في النار، فعلا لهبها ودخانها
فرأى ذلك أحد البراجم، فظنَّ أنها قري، فأقبل إليها، فجيء به إلى عمرو، فتمم به المائة ورمى
به في النار⁽²⁾.

وكان هذا ظلماً عظيماً أصاب العامة وأحسوا به وسجله عامر بن الطفيل في وصف
ملك الحيرة⁽³⁾:

- البسيط -

أنحى علينا بأظفارٍ فطوقنا طوق الحمامِ بإتعاسٍ وإرغام⁽⁴⁾

2. الإتاوات والضرائب

أجبر الملوك عامة الناس على دفع الإتاوات والضرائب لهم تلك الضرائب التي أرهقتهم
وهددت أمنهم فامتنعوا عن دفعها رفضاً لظلم أثقل كواهلهم، وقد عبّر عن ذلك جابر بن حنيّ
التغلبى في قوله⁽¹⁾:

(1) الأندلسي، أبي سعيد: نشوة الطرب 279/1. وانظر ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 375/1.

(2) الأندلسي، أبي سعيد: نشوة الطرب 278/1، وانظر الأصفهاني: حمزة بن الحسن، تاريخ سني ملوك الأرض
والأبياء ص 93، 94.

(3) الديوان ص 151.

(4) أظفر: مكته منه وغلته عليه (اللسان: ظفر): الإرغام: الذل والإهانة (رغم).

(الطويل)

وفي كُلِّ أسواقِ العِراقِ إِتاوَةٌ وفي كُلِّ ما باعَ امرؤٌ مَكسُ دِرْهَمٍ⁽²⁾
ألا تَسْتحي مِنّا مُلوِكٌ وتَنقِي مَحارِمَنا لا يَبوؤُ الدَّمُ بِالدَّمِ⁽³⁾

فكان شعره صرخة استنكار، وصيحة تهديد للملوك، فعزة العربي وأنفته لا تقبل الخضوع والذل وفي ذلك يقول يزيد بن الخدّاق الشنّيّ يخاطب النعمان بن المنذر⁽⁴⁾:

- الطويل -

أكلُ لَئيمٍ مِنكُمُ ومُعَلِّجٍ يَعدُّ علينا غارَةً فخبُوساً⁽⁵⁾
ألا ابنَ المُعلّى خَلتَنا وجِسيَّتَنا صراريّ نُعطي الماكسينَ مَكوساً⁽⁶⁾

3. التفرقة بين القبائل:

سعى الملوك للسيطرة على العامة بأقل جهد ممكن، فعملوا على إثارة الفرقة، وزرع بذور الفتنة بينهم، حتّى ينشغلوا بمشاكلهم، ويصرفوا طاقاتهم في النزاعات الداخلية بينهم، ويبقى الملوك في أمان، وسلام، من باب "فرّق تسد"، وقد أدرك الشعراء هذا المغزى، فألهب في صدورهم كراهية الملوك، ونفثوه شعراً عبّر عنه أحدهم وهو سُويد بن الخدّاق في هجائه لعمرو ابن هند وقابوس فقال⁽¹⁾:

جزى اللهُ قَابُوسَ بنَ هَندٍ بِفِعْلِهِ بِناءٍ، وأخاه غَدْرَةَ وأثاماً
بما فَجَّرا يَومَ العُطيفِ وَفَرَقا قَبائِلَ أحلافاً وحيّاً حراماً
لعلَّ لِبُونِ المَلِكِ تَمَنعُ دَرها وَيَبعُثُ صَرَفُ الدَّهْرِ قَومًا نياماً
وإلا تُغادِني المَنيّةُ أُغشِكُم على عُدوِّاءِ الدَّهْرِ جِيشاً لُهاماً⁽²⁾

(1) المفضليات، ص211، وانظر شعراء النصرانية قبل الإسلام ص190.

(2) الإتاوة: الخراج. المكس: دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية.

(3) لا يبيء: من باء فلان بفلان. إذا كان كفناً له أن يقتل به.

(4) المفضليات، ص298، وانظر: اسليم: فاروق، الانتماء في الشعر الجاهلي ص296.

(5) المعلج: الذي ليس بخالص ولا كريم. الخبوس: الظلم.

(6) الصراري: الملاحون، الماكس: الجاني، والمكوس: جمع مكس، وهو ما يأخذه الماكس.

(1) ابن قتيبة: الشعر ولشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، 375/1.

(2) تغاديني: تتركني، المنية: الموت. أغشكم: آتاكم، اللهم: العظيم.

وقد تعددت الصفات التي هجا بها الشعراء الملوك، ومنها اللؤم، فهذا طرفة بن العبد يهجو عمرو بن هند، ويعبر عن لؤمه من خلال بخله، حيث يبقى سرباله نظيفاً، وفي هذا كناية عن عدم إكرام الضيف، وتقديم الطعام له فيقول⁽¹⁾:

- البسيط -

إِنْ قُلْتَ: نَصْرٌ، فَنَصْرٌ كَانَ شَرًّا فَتَى قَدِمًا، وَأَبْيَضَهُمْ سِرْبَالٌ طَبَّاحِ
ما في المعاني، لكم ظلٌّ، ولا ورقٌ وفي المخازي، لكم أسناخٌ أسناخِ
إِنْ قُسِّمَ المجد، أكَدَى فِي سَرَائِكُمْ أَوْ قُسِّمَ اللُّؤْمُ، فَضَلَّتُمْ بِأَشْيَاخِ⁽²⁾

أما الشاعر عمرو بن كلثوم فجعل اللؤم متأسلاً في النعمان بن المنذر، وممتداً إليه من أخواله، وكأنه رضعه من لبان أمه. فالنعمان يرتبط باللؤم برباط قوي من جهة الأم، ليس هذا فقط بل ويتصف من جهة الأب بالعجز والهوان فيقول هاجباً إياه⁽³⁾:

- الطويل -

لَحَا اللهُ أذنانا إلى اللؤم زُلْفَةً وَالْأَمَنَّا خالاً وَأَعْجَزَنَا أَبَا⁽⁴⁾

وكما مدح الشعراء الملوك بالوفاء، هجوهم بالغدر، والخيانة وعدم الوفاء بما قطعوه من عهود للناس. وفي ذلك يقول المتلمس الضبعي هاجباً عمرو بن هند وواصفاً إخلاف وعده⁽¹⁾:

(الكامل)

شَرُّ المُلُوكِ وَشَرُّهَا حَسَبًا فِي النَّاسِ مِنْ عِلْمُوا وَمَنْ جَهَلُوا
الغدرُ والآفاتُ شِيمَتُهُ فافهم فعرقوب له مثل⁽²⁾

ويقول⁽³⁾:

(الطويل)

(1) الديوان، ص150، 151.

(2) الأشياخ: أشياخ النجوم هي الدراري منها. وفي المعجم الوسيط مفردها شيخ وهو ذو المكانة من علم أو فضل أو رياسة.

(3) الديوان ص25.

(4) لحاه الله: قبَّحه ولعنه، زُلْفَة: الزُّلْفِي، والزُّلْف: القرية، والدرجة، والمنزلة.

(1) الديوان ص129.

(2) وهذا مثل ذكره الميداني في مجمع الأمثال فقال مواعيد عرقوب. وهو مثل بضرب في الخلف. مجمع الأمثال

جزاني أخو لَحْمٍ على ذاتِ بيننا جزاء سنمار، وما كان ذا ذَنبِ
ولم يكن عمرو بن هند هو الملك الوحيد الذي اتَّصف بالغدر من الملوك، فها هو يزيد ابن
الخدَّاق الشنّي، يهجو النعمان بن المنذر هجاءً صريحاً مقررّاً صفات ينبذها خلق الإنسان
العربي، ومنها الخيانة والخداع فيقول⁽²⁾:

(أخذ الكامل)

نُعمانُ إنَّكَ خائِنٌ خَدَعٌ يُخفي ضميرُكَ غيرَ ما تُبدي
وتمثلت صفة الغدر والخيانة عند بعض الملوك في عدم حفظ الجوار، فهذا طرفة جاور
قابوس وعمرو بن هند، ابني المنذر فلماً أُغِيرَ على إبله ذهب طرفة إلى عمرو بن هند، لينجز
له وعده برد إبله، فأخلفه فقال يهجو⁽³⁾:

(الطويل)

وكان لها جارانِ قابوسُ منهما حذاراً ولم أسترعها الشمس والقمر⁽¹⁾
وعمرؤ بنُ هِنْدٍ كانَ ممَّنْ أجارها وبعضُ الجوارِ المُستَغاثِ به غررُ
ويؤكد أبو قردودة الطائي في رثائه لابن عمار، نديم النعمان، وقتيله، أن الملوك لا يؤمن
جانبهم في قوله⁽²⁾:

إني نهيتُ ابنَ عمارٍ وقلتُ له لا تأمننِ احمرَ العينين والشعره
إنَّ الملوكَ متى تنزلُ بساحتهم تطرُ بنارك من نيرانهم شرره

(1) الديوان ص 77.

وجزاء سنمار مثل ذكره الميداني في مجمع الأمثال لمن يجزي الإحسان بالإساءة، مجمع الأمثال 159/1

(2) المفضليات، ص 296.

(3) الديوان، ص 160، 161.

(1) لم أسترعهما الشمس والقمر: لم أتركهما في جوار الشمس والقمر واتكل عليهما فيهما.

(2) البيان والتبيين 223/1.

يا جَفَنَةً كإِزاءِ الحوضِ قد هَدَمُوا وَمَنْطِقاً مِثْلَ وشيِّ اليمِّنةِ الحَبِرَهِ
ولاتصاف الملك بهذه الصفات وغيرها، فهناك مَنْ تَمَنَّى لو أَنَّ الملكَ يُبَدِّلُ بنعجةٍ تدر
لبناً لكانت أصلحاً للحكم منه وأكثر فائدة للناس، يقول طرفة هاجياً النعمان⁽¹⁾:

- الوافر -

لَيْتَ لَنَا مَكَانَ الْمَلِكِ عَمْرٍو رَعَوْتَا حَوْلَ قُبَيْتِنَا تَخُورُ⁽²⁾
مِنَ الزَّمَرَاتِ أُسْبِلَ قَادِمَاهَا وَصَرَّتْهَا مُرْكَنَةٌ دَرُورُ⁽³⁾
يُشَارِكُنَا لَنَا رَخْلَانِ فِيهَا وَتَعْلُوها الكِبَاشُ فَمَا تَتُّورُ⁽⁴⁾
تَتُّورُ⁽⁴⁾

وهكذا نجد هجاء الملوك - وهو الصورة السلبية للمديح - موضوعاً مهماً يطرقه الشاعر؛ لكي يعكس به كراهيته للملوك ورفضه لاستبدادهم، أو لكي يرجع أصداء نفسه التي آلمها ما كان يتقل هؤلاء الحكام به كواهلهم من حروب وضرائب، وما كانوا يعانون من وطأة الاستغلال والعدو والبطش.

الرتاء:

الرتاء هو بكاء الميت وذكر صفاته الحسنة، وليس بين الرثاء والمدح من فرق إلا أن يخلط بالرتاء شيء يدل على أن المقصود به ميت مثل: (كان) أو (عرفنا به كيت وكيت) وما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت. وعاطفة الرثاء من أصدق العواطف الإنسانية على مر العصور، وهذا الفن من أصدق فنون الشعر؛ لأنه يخاطب عزيزاً فارق الحياة، أو ملكاً كان ملء السمع والبصر، أو داراً دار عليها الزمن، أو يتحدث عن كل ذلك.

(1) الديوان ص 108، 109.

(2) الرغوث: النعجة التي تُرَضَع - تخور: تطلق صوتها.

(3) الزامرات: جمع زمرة وهي النعجة القليلة الصوف التي يكثر لبنها. أسبل: طال - قادمها: أذناها رقم 3. الضرة: لحم الصرع الدرور: كثيرة اللبن.

(4) الرخلان: مثني الرخل وهي ابنة الظأن - الكباش: واحدها الكبش وهو الحمل. تنور: تبتعد.

فدافع الرثاء ينبع من حزن الشاعر على إنسان قطع الموت صلته بالأحياء. ولا يستبعد أن يكون الرثاء نابعاً من إحساس الشاعر بالضعف أمام الموت. وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفعج، مخلوطاً بالتلهف والأسى والاستعظام. فما بالك إذا كان الميت ملكاً أو رئيساً أو كبيراً؟!

وكما أعجب الشعراء بالملوك فمدحوهم ووضعوهم في مصاف الآلهة. كذلك أنزلوهم تلك المنزلة في الرثاء، فرثوهم بالصفات نفسها التي مدحوهم بها، وكأنني بهم حين يذكرون هذه الصفات في الرثاء، يرثون الصفات نفسها، فكأنّ الصفة تموت بموته وتندثر بوفاته.

فهم وإن رثوا العامة وصوروا الفجيعة وأثرها في نفوسهم، فإنّ هذه الفجيعة كانت أشد حين يرثون الملوك. فالناس قد يتصفون بالشجاعة والكرم والنجدة والشرف، ويدعو لهم الناس بالسقيا بعد الموت، ولكنّ هذه الصفات كانت عند الشعراء، وعند رثاء الملوك، تأخذ معنى خاصاً وأثراً أقوى، وعاطفة أشد، فأفاض الشعراء في وصف أجزائهم. وصفات الملوك متميزة يليق بها رثاء جليل متميز، فهم لم يكونوا كعامة الناس. فمن هنا كان الرثاء أشدّ فاجعة وأكثر ألماً يغلفه إجلال الملك المرثي وإكباره، فهم في حضرة الملك، حتّى وإن كان ميتاً⁽¹⁾.

ولهذا رسمت قصائد الشعراء ما يعنيه موت الملك بالنسبة لهم أو لقبائلهم، وخوفهم من موته جعلهم يستبقون الحدث، ويتخيلون الفاجعة قبل وقوعها. فهذا النابغة الذبياني يخاطب النعمان بن المنذر إبان اشتداد مرضه عليه فيقول⁽¹⁾:
- الوافر -

فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسَ يَهْلِكُ رَبِيعُ النَّاسِ، وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ
وَنُصَيْبُكَ، بَعْدَهُ، بِذَنْبِ عَيْشِ أَجِبَ الظُّهْرِ، لَيْسَ لَهُ سَنَامٌ⁽²⁾

فهلاك النعمان، هلاك للربيع والخير والأمن، ومن بعده يظل الناس في عسرة من أمرهم، وفي إرهاب من عيشهم، لا يقيمون إلا على أردأ العيش وأجدبه.

وبما أن الملك هو الحياة، والربيع، فالنابغة في رثائه النعمان بن الحارث الغساني يزهد في الحياة، لأنّ حياته بعد ذوي الفضل ضجر قاتل فيقول⁽³⁾:

(1) أنظر: الشورى، مصطفى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي ص11، 97 والأدب الجاهلي/ قضاياها - أغراضه - أعلامه - فنونه - ص242، 243، أبو ناجي، محمود حسن: الرثاء أو جراحات القلوب ص11.

(1) الديوان ص169، 170.

(2) ذناب: أطراف، أجِبَ الظهر: دون سنام.

- الطويل -

فلا تَبَعَنَ، إِنَّ المنيَّةَ مَوْعِدٌ، وَكُلُّ امرئٍ، يوماً، به الحالُ زائلٌ
فما كان بينَ الخيرِ لو جاء سالماً، أبو حُجْرٍ، إِلَّا لَيَالٍ قلائِلُ
فإنَّ تحي لا أَمَلُّ حياتي، وإن تَمَّتْ، فما في حياتي، بعد موتك، طائلٌ⁽²⁾

ليس هذا فقط، فبموت الملك ستعرى الجياد بعد إنزال السروج عنها، لأنها ستصبح عديمة الفائدة، فهي لن تغدو بعد اليوم لحرب أو غزو، يقودها الملك، فهو الشجاع والمقدام لا ينافسه في ذلك أحد. يقول النابغة في النعمان بن المنذر⁽³⁾:

- الطويل -

ورُدَّتْ مطايا الراغبين، وعُرِّيتُ جِيادَكَ، لا يُحفي لها الدهرُ حافراً⁽¹⁾
والى جانب هذه الشجاعة، وهذا البأس، كان رؤوفاً بالأسرى، يقول لبيد بن ربيعة العامري⁽²⁾:

- الطويل -

فيوماً عناةً في الحديد يفكّهم ويوماً جياداً مُلجَماتٌ قوافِلُ
ولأنه كذلك، ولأنه الملك صاحب السيادة والمكانة، ولأنه إله أو شبيهه بالإله نعاء الناس جميعاً حيث قال المهلهل في رثاء أخيه الملك كليب⁽³⁾.

- البسيط -

نعى النُعاةُ كليباً لي فقلتُ لهم مادّت بنا الأرض أم مادّت رواسيها
وهو سيّد النَّاسِ، ليس له مثيل، بل هو يعادل ألفاً من فضلاء القوم، وهذا ما ذهب إليه المهلهل في رثاء أخيه كليب حيث قال⁽⁴⁾:

(1) الديوان ص 141.

(2) طائل: منفعة.

(3) الديوان ص 81.

(1) رُدَّتْ مطايا الراغبين: أي لم يعد يقصدك راغب. عربت جياذك: أنزل عنها سرجها لعدم استعمالها. لا يحفي لها الدهر حافراً: يعني أن عدم استعمال الجياد بعد موته، لا يحفي حوافرها.

(2) الديوان ص 67، وانظر ديوان المهلهل ص 49، ص 148، 149.

(3) الديوان ص 91.

- الهزج -

قَتَلْتُمْ سَيِّدَ النَّاسِ وَمَنْ لَيْسَ بِذِي مِثْلٍ
وَقُلْتُمْ "كُفُوهُ رَجُلٌ" وَلَيْسَ الرَّأْسُ كَالرَّجُلِ
وَلَيْسَ الرَّجُلُ الْمَاجِدُ دُمِثْلَ الرَّجُلِ النَّزْلِ
فَتَى كَانَ كَأَلْفٍ مِنْ ذَوِي الْإِنْعَامِ وَالْفَضْلِ

وهو الفارس الشجاع، وقد كانت الشجاعة من أكثر الخصال التي تردت على ألسنة الشعراء في شعر الرثاء. وهذا طبيعي في مجتمع يؤمن بالقوة ويقوم على العصبية. لا سيما وأن الفرد في هذا المجتمع ومنذ نعومة أظفاره يُربى ليكون حامياً لقبيلته. أكفاء لمن ينازلهم في ساحات القتال. مجتمع كهذا كان لا بُدَّ أن يتغنى بالشجاعة وبمجدها، فإذا قتل حامي العشيرة ظل القوم يذكرون تلك الخصلة التي كانت من أسباب بقائهم. وربما كانت الشجاعة من صفات الألوهية التي تسبغ على الملك، كما كانت تسبغ على إله الحرب⁽¹⁾. وقد حفل الشعر الجاهلي بأبيات تنذب فقدان الملك الشجاع المحارب الذي كان في ميادين القتال، ومنها رثاء المهلهل لأخيه كليب حيث قال⁽²⁾:

- البسيط -

القائدُ الخيلَ تردّي في أعنتها زهواً إذا الخيلُ بُحَّتْ في تعاديهَا
منْ خَيْلٍ تَغْلِبَ مَا تُلْقَى أَسِنَّتَهَا إِلَّا وَقَدْ خَضِبَّتْهَا مِنْ أَعَادِيهَا
قَدْ كَانَ يُصْبِحُهَا شَعْوَاءَ مُشْعَلَةً تَحْتَ الْعَاجِةِ مَعْقُوداً نَوَاصِيهَا

وقد كانت التقاليد في هذا الشعر تربط البطولة أو الشجاعة بالكرم، حيث يكون العطاء بلا حدود، يدفع بروحه في ساحة الوغى، ويدفع بماله في ساحة الندى، وعطاؤه ليس لسادة القوم، بل للمعوزين الذين هم في أمس الحاجة إلى هذا العطاء.

(1) الديوان ص69، وانظر أيام العرب في الجاهلية ص166.

(1) الشورى: مصطفى، شعر الرثاء في العصر الجاهلي/ دراسة فنية ص97.

(2) الديوان ص92.

يقول المهلهل راثياً كليباً⁽¹⁾:

- البسيط -

النَّاحِرُ الكَوْمَ مَا يَنْفِكُ يُطْعِمَهَا والواهبُ المِئَةَ الحَمْرَا بِرَاعِيهَا⁽²⁾

وليس هناك من هو كفاء له في الجود والكرم والعطاء وكيف يكون له كفاء وهو الملك،

يقول المهلهل⁽³⁾:

- الوافر -

على أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلَيْبٍ إِذَا طُرِدَ الْيَتِيمُ عَنِ الْجَزُورِ
على أَنْ لَيْسَ عَدْلًا مِنْ كَلَيْبٍ إِذَا عَجَزَ الْغَنِيُّ عَنِ الْفَقِيرِ

وليس للملك كفاء في المنزلة والمكانة أيضاً، فهو ذو منزلة عظيمة لن يدركها أحد، بل

إن إدراكها من قبيل المعجزة التي لن تتحقق مهما حاول الإنسان. أو ليس الملك إليها أرسله الله،

كما كانوا يعتقدون؟! فما هو امرؤ القيس يرثي آباءه وأجداده في وقعته ببني أسد فيقول⁽⁴⁾:

- الكامل -

قَالَتْ فَطِيمَةُ حَلَّ شِعْرَكَ مَدْحَهُ أَفَبَعْدَ كِنْدَةَ تَمْدَحَنَّ قَتِيلَا
وَهُمُ الْكِرَامُ بَنُو الْخَضَارِمَةِ الْعُلَا لَسْمِيدَعِ أَكْرَمِ بِذَلِكَ نَجِيلَا
يَا أَيُّهَا السَّاعِي لِيُذْرِكَ مَجْدَنَا نَكَلْتِكَ أُمُّكَ هَلْ تَرَدَّ قَتِيلَا
هَلْ تَرْقَيْنَ إِلَى السَّمَاءِ بِسُلْمٍ وَلِتَرْجِعَنَّ إِلَى الْعَزِيزِ ذَلِيلَا
سَائِلِ بِنَا مَلِكِ الْمُلُوكِ إِذَا التَّقُوا عَنَّا وَعَنْكُمْ لَا تَعَاشِ جُهُولَا
مِنَّا الَّذِي مَلَكَ الْمَعَاشِرَ عَنُوءَ مَلِكِ الْقَضَاءِ فَسَلْ بِذَلِكَ عَقُولَا

ولأجل هذه المكانة، فحين رثى امرؤ القيس أباه لم يكن ليبيكيه أو يستبكي الناس عليه؛ لأن

مكانته تجله عن الدموع، بل فاخر به، وبمكانته، وكذب ما أتاه من خبر عن مقتله، وحينما تبين

(1) الديوان ص 92.

(2) الكوم: النياق العظيمة السنام.

(3) الديوان ص 40، 41، وانظر أيام العرب في الجاهلية، ص 157.

(4) الديوان ص 358، 359.

وجه الحق ثقل عليه الرزء، وراح يباهي بموضع أبيه من الملك، ويصور القبائل كأنها خدم له ينتظرون عطاءه، فيقول⁽¹⁾:

- المتقارب -

أرقت لبرق بليل أهل يضيء سناه بأعلى الجبل
أتاني حديثٌ فكذبتُه بأمرٍ تززع منه القائل⁽¹⁾
بقتل بني أسد ربّهم ألا كل شيء سواه جليل
فأين ربيعة عن ربّها وأين تميم وأين الخول
ألا يحضرون لدى بابهِ كما يحضرون إذا ما أكل
ولأن الملك ليس إنساناً عادياً، وليس كالبشر، ومثلما كانت حياته حياة للناس وأمناء واستقراراً وطمأنينة، كان موته يعني توقف الحياة، واختلال الكون. فالبدر قد خسف وغار، وتبعته النجوم فغابت بغيابه أيضاً، وهذا ما سجله المضرب بن وائل بن يعفر بن عمرو الحميري حين رثى عمراً ذا الأذعار، وهو عمرو بن أبرهه

- الكامل -

قد خسف البدر ولأذت به لما تولى الأنجم السارية⁽²⁾
بل أظلمت الشمس لدى المهلhel فلا تريد طلوعاً⁽³⁾:
- الكامل -

لما نعى الناعي كليباً أظلمت شمسُ النهارِ فما تريدُ طلوعاً
وتكررت هذه الصورة عند بعض الشعراء، فيقول عنتره راثياً الملك زهير بن جذيمة العبسي⁽⁴⁾:

- الخفيف -

خُسِفَ البَدْرُ حين كان تماماً وخَفِيَ نُورُهُ فَعَادَ ظلاماً⁽⁵⁾
وَدَرَّاري النُّجومِ غارتِ وغابت وضياءُ الأفاق صار قتاماً⁽¹⁾

(1) الديوان ص 261.

(1) القائل: الواحدة قلة: وقلة كل شيء: قمته وأعلاه (اللسان).

(2) بن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير، ص 150.

(3) الديوان ص 50.

(4) الديوان ص 279.

(5) خف: غمض وغار.

حين قالوا: زُهَيْرُ وُلَى قَتِيلًا خَيْمَ الحزن عندنا وأقاما

وكما رثى الرجال الرجال، شاركت المرأة الرجل في هذا الرثاء، ولا شك أن المرأة كانت أكثر جزءاً، وأسرع إلى إظهار الحزن، والتعبير عنه. وذلك لأنَّ فقد هذا الملك الذي ربّما كان ولدها أو أخاها أو زوجها يعني فقد سيدها أو المدافع عنها. فهي جليلة بنت مرة زوج الملك كليب وأخت حساس قاتله ترثية بعد أن انصرفت إلى منازل قومها، فقد بلغها أن أختا لكليب قالت بعد رحيلها: رحلة المعتدي، وفراق الشامت، ويل غداً لآل مرة من الكرة بعد الكرة، فقالت جليلة: وكيف تشمت الحرّة بهتك سترها، وترقب وترها، أسعد الله جدّ أختي، أفلا قالت: نفرة الحياء، وخوف الاعتداء وأنشأت تقول(1):

- الرمل -

فِعْلُ حَسَّاسٍ عَلَيَّ وَجُدِّي بِهِ	قَاطِعُ ظَهْرِي وَمُنْذِنِ أَجْلِي
لَوْ بَعَيْنُ فُؤَيْدٍ عَيْنِي سِوَى	أَخْتِهَا فَانْفَقَاتُ لَمْ أَحْفَلِ
يَا قَتِيلًا قَوْضَ الدَّهْرُ بِهِ	سَقَفَ بَيْتِيَّ جَمِيعاً مِنْ عَلِ
هَدَمَ الْبَيْتَ الَّذِي اسْتَحَدَّثْتَهُ	وَأَنْثَنِي فِي هَدْمِ بَيْتِي الْأَوَّلِ
وَرَمَانِي قَتْلُهُ مِنْ كَثَبِ	رِمِيَّةِ الْمُصَمِّى بِهِ الْمُسْتَأْصَلِ
خَصَّنِي قَتْلُ كَلَيْبِ بِلِظَى	مَنْ وَرَائِي وَلِظَى مُسْتَقْبَلِ

فموت كليب هدم بيتها، بيت الزوجية، وبيت أهلها الذي عاشت فيه من خلال الأخذ بثأر

كليب، وهي خائفة من آثار الثأر، ونتائجه على قومها، وقوم زوجها.

- البسيط -

وتقول(2):

قد كان تاجاً عليهم في محافلهم وكان ليثٌ وغىً للقرن طراحاً(3)

فكليب هو الملك وهو الشجاع في ساحة الوغى.

(1) دراري النجوم: مفرداها النجم الدرّي: الثاقب المضيء، شبه الدر ونسب إليه لبياضه. غار: أتى الغور أي القعر، أي غاب وافل، القتام: الغبار والظلام.

(1) يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص52، 53 وانظر أيام العرب في الجاهلية ص148، 149.

(2) يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص54.

(3) المحافل: مجامع القوم، القيرن: النّد المبارز، طراحاً: غلاباً.

وتكاد تلتقي معها في رثاء كليب أخته أسماء بنت ربيعة التغلبية، فكليب لها الأخ والناصر، كليب العزّ والجاه، فموته قد جعل حياتها مرة لا تطاق، وهمومها بعده لن تزول، بل وصفاء العيش أصبح لا وجود له. كيف لا وقد غاب من يوصلها إلى مكانة عالية فنقول (1).

- الرمل -

يا كُليبُ كُنتَ جاهي ولقد	جارَ جَساسٌ	بِقَتْلِ البَطْلِ
يا قَتيلًا قَتَلَهُ جَرَّعَنِي	عِنْدَ فَقْدِيهِ	نَقَعَ الحَنْظَلِ
ليتني ما عِشْتُ يوماً بَعْدَهُ	ليتني قَرَّبَ	موتي أَجْلي
اسلبوا عقلي وروحي بَعْدَهُ	فهُمومي بَعْدَهُ	لا تَنجَلي
لا صفا عيشٌ وَقَدْ غَابَ مِنْ بَعْدِهِ	لَيْتَ نَفْسي خَرَجَتْ مِنْ	هَيْكَلِي
مَنْ يُبَلِّغُنِي الحَمَى مِنْ بَعْدِهِ	مَنْ يُبَلِّغُنِي رَفِيعَ المَنْزَلِ	

وهكذا نرى أنّ الشعراء قد رثوا الملوك، كما رثاهم أقرباؤهم من أخ وولد وزوج، رثوا شجاعتهم وكرمهم، ومكانتهم وعزّتهم، إلى غير ذلك من الصفات والقيم العليا. وقد أبدعوا في هذا الرثاء وتميز عليهم المهلهل في بكاء أخيه كليب، كما لم يبدع أحد قبله في رثاء الملوك، وبكائهم، فنبأ مقتل كليب أنطق المهلهل بفيض من الأحاسيس والمشاعر الصادقة. فكليب لم يكن مجرد إنسان أو أخ فقط، قتل كغيره من أفراد القبيلة، ولكنه الأخ والملك والقائد، والفارس الشجاع، والكريم السخي الجواد، ومقتله كان كارثة مفاجئة، فكليب بالنسبة للمهلهل الأخ والنصير، وفقده جعله يحس بالفجيعة والفاقة إحساساً كبيراً.

وكما كان حزن مهلهل عظيماً كان حزن جلييلة زوج كليب أعظم، فقد فاض شعرها بصدق فني وعاطفة جياشة، كيف لا، وكليب الزوج والحبوب والسيد وعمود البيت. فقد مزجت الرثاء بالحب، والفجيعة بالذكريات الجميلة، شأنها في هذا شأن الشعراء الجاهليين الذين مزجوا الرثاء بالمديح.

(1) الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي 2001، أسماء بنت ربيعة.

الفخر

الصحراء شاسعة، مترامية الأطراف، يسرح فيها بصر العربي وخياله، وتشعره بالحرية، حرية رضعها من ألبانها، فامتلأت نفسه بها تيهاً وفخراً، فخراً تزهو به نفسه وبأساً يخيف أعداءه. ربّما كان لطبيعة الحياة الجاهلية أثرها في نزوع الشاعر إلى الفخر، فقد أكسبت هذه الحياة البدوي الحمية والأنفة، والعزة والصبر على المكاره، وجعلته يتغنى بالشجاعة وحماية العرض والذود عن الحمى. وقد ساقه هذا الشعور ليس فقط للافتخار بالشجاعة على أمثاله من الناس وإنما إلى العلو على الملوك والافتخار بأنه أكثر منهم عزّة وكرامة فهو أعلى منزلة وأمنع جانباً منهم.

والفخر من الموضوعات المهمة في الشعر الجاهلي، فمنه نطل على مجموعة المثل التي كان الجاهلي يعتز بها. هذه المثل والقيم التي اتّسعت لتشمل حماية الجار ونجده الملهوف، ومضاء العزيمة، والقدرة على تحمل الشدائد، والحزم والإباء⁽¹⁾، وصلة الرّحم، كما وقفوا في وجه الملوك حين جاروا وارتحلوا عنهم، ووفدوا عليهم حين ارتضوا أن يعاملوا القوم معاملة الأخ لأخيه، وكل هذا يستلزم القوة، ففخروا بها وبإباء الظلم.

يروق لبعض الشعراء أن يفاخر الملوك، وأن يجاهر بالخروج عن سلطانهم، ويعد هذا ضرباً من الأنفة والحمية. فهذا عمرو بن كلثوم يقتل الملك عمرو بن هند بعد أن حاولت أم الملك استخدام أمه، ويفتخر بمضاء عزيمة قومه، وقدرتهم، وبأسهم، فهم يقدمون على الأعداء برياتهم البيضاء. ولا يعودون إلا وقد نهلوا من دماء الأعداء حتى صارت الرايات حمراً لكثرة القتل، وهم وقد ورثوا المجد كائناً عن كائناً، يدافعون عنه ويحمونه، يقول⁽²⁾: - الوافر -

أَبَا هِنْدٍ فَلَا تَعَجَّلْ عَلَيْنَا وَأَنْظِرْنَا نَخَبَّرَكَ الْيَقِينَا
بَأَنَّ نُوْرِدُ الرِّايَاتِ بِيضاً وَنُصْنِدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا
وَرَثْنَا الْمَجْدَ قَدْ عَلِمَتْ مَعَدُّ نَطَاعِنُ دُونَهُ حَتَّى يَبِينَا⁽³⁾

(1) ظلمات: غازي، الأدب الجاهلي/ قضاياها - أغراضه - أعلامه - فنون ص 169، 170.

(2) الديوان ص 71، 75.

(3) يبين: يظهر.

ويفتخر بالإباء والحرية، ويستنكر ظلم عمرو بن هند لهم، غير معترف بحقه الإلهي

ومكانته وهيئته فيقول⁽¹⁾:

- الوافر -

بأيّ مَشِيئَةٍ عَمَرَو بَنَ هِنْدٍ نَكُونُ لِقَيْلِكُمْ فِيهَا قَطِينَا⁽²⁾
بأيّ مَشِيئَةٍ عَمَرَو بَنَ هِنْدٍ تُطِيْعُ بِنَا الوُشَاةَ وَتَزْدَرِينَا
بأيّ مَشِيئَةٍ عَمَرَو بَنَ هِنْدٍ تَرى أَنَا نَكُونُ الأَرْدَلِينَا
بل ويفتخر بعصيان الملوك وقتلهم فيقول⁽³⁾:

- الوافر -

وأيامٍ لَنَا غُرٌّ طَوَالٍ عَصَيْنَا المَلِكَ فِيهَا أَنْ نَدِينَا⁽⁴⁾
وسيدٍ مَعَشَرَ قَدْ تَوَجَّهَ بِتَاجِ المَلِكِ يَحْمِي المُحَجَّرِينَا⁽⁵⁾
تَرَكْنَا الخَيْلَ عَاكِفَةً عَلَيهِ مُقَلَّدَةً أَعْنَتَهَا صُفُونَا⁽⁶⁾

وجاء فخر جابر بن حني التغلبي موصولاً بفخر ابن كلثوم فيها هو يزعم أنّ الملوك لا يجروون على انتهاك شرف تغلب لمنعتها، وهيئتها المفروضة على الناس، فهذه القبيلة تعايش الملوك معايشة الأنداد، تسالم العادل، وتحارب الجائر، بل ويفتخر بأنّ قتل الملوك عندهم ليس حراماً ولا محالاً، ولطالما أنزلوا الحتف بالملوك الذين احتقروا قوتهم فيقول⁽⁷⁾: - الطويل -

أَلَا تَسْتَحِي مِنَّا مُلُوكٌ وَتَتَّقِي مَحَارِمَنَا لَا يَبِوؤُ الدِّمِّ بالدِّمِّ
نُعَاطِي المُلُوكَ السَّلْمَ مَا قَصَدُوا بِنَا وَليَسَ عَلَيْنَا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمٍ
ومثله قول حاتم الطائي⁽¹⁾:

(1) الديوان ص78، 79.

(2) القيل: الرئيس دون الملك الأعظم، القطين: العبيد الأذلاء.

(3) الديوان ص71، 72.

(4) الأيام: الوقائع، الغرّ: جمع الأغر، وهو المشهور.

(5) المحجرين: المحجرون: اللاجئون.

(6) عاكفة: مقيمة، الأعتة: جمع العنان، وهو الزمام. الصّفون: جمع الصافن، وهو من الخيل الذي قام على ثلاث قوائم وثقى سنيكه الرابع.

(7) المفضليات، ص211، وشعراء النصرانية قبل الإسلام ص190.

(1) الديوان، ص91.

- الطويل -

وَحَوْلِي عَدِيٌّ كَهْلُهَا وَغَرِيرُهَا⁽¹⁾

وَأُقْسَمْتُ لَا أُعْطِي مَلِيكًا ظُلَامَةً

وقول المتلمس الضبعي لعمر بن هند⁽²⁾:

- مجزوء الكامل -

أرْمَاخُنَا مِنْكَ الْمُخَنَّقُ

فَلَأِنَّ تَعِيشَ، فَلَا يَبْلُغَنَّ

وهذا عبيد بن الأبرص، يملأ الدنيا فخراً بعظيم صنيع قومه، وقد هزموا الملك حجرا ابن كنده وقتلوه، وحق لهم أن يفتخروا وقد علوا فوق الملك وضرّجوه بدمائه فيقول⁽³⁾:

- مجزوء الكامل -

لِأَبِيهِ إِذْ لَأَلَّ وَحْيِينَا
بِتَسْرَاتِنَا كَذِبًا وَمَيِّنَا

يَا إِذَا الْمَخُوفْنَا بَقِيَتْ
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ

مَّ قَطَامٍ تَبْكِي لَا عَلَيْنَا⁽⁴⁾
فُ بُرَأْسٍ صَعْدَيْنَا لَوَيْنَا⁽⁵⁾
ضُ الْقَوْمِ يَسْقُطُ بَيْنَ بَيْنِنَا⁽⁶⁾
دَّةً إِذْ تَوَلَّوْا: أَيَّنَ أَيْنِنَا
بِبِوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا⁽⁷⁾
لِكِ أَيْئِنِنَاهُمْ وَقَدِ انْطَوَيْنَا

لَوَمَا عَلَى حُجْرِ بِنِ أ
إِنَّا إِذَا عَضَّ الثَّقَا
نَحْمِي حَقِيقَتِنَا وَبَعْدُ
هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنِ
أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ
وَجُمُوعَ غَسَّانِ الْمَوِ

ويقول⁽¹⁾:

- الطويل -

(1) الغرير: الشاب الذي لا تجربة له.

(2) الديوان، ص 125.

(3) الديوان ص 136، 137. وانظر الشعراء والشعراء ص 259.

(4) لوما: هلاً.

(5) الثقاف: خشبة تسوى بها الرماح. الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف.

(6) حقيقتنا: ما يحق على الرجل أن يحميه كالأهل والولد.

(7) البواتر: جمع باتر وهو السيف القاطع.

(1) الديوان ص 63.

سَقَيْنَا امْرَأَ الْقَيْسِ بْنِ حَجْرٍ بِنِ حَارِثٍ كُؤُوسَ الشَّجَا حَتَّى تَعُوْدَ بِالْقَهْرِ
 فهم قد هزموا قوم امرئ القيس وسقوا أباه الملك كؤوس الموت، ويعود عبيد بن الأبرص
 مفتخراً بشجاعة قومه وقوتهم وعدم خضوعهم للملوك، بل يلبون الدعوة للحرب إذا دعوا إليها،
 فيقول(1):

- الوافر -

أَبُو دَيْنِ الْمُلُوكِ فَهَمْ لِقَاحٍ إِذَا نُدِيُوا إِلَى حَرْبٍ أَجَابُوا(2)
 ومفاخرة الملوك تفضي بالشاعر الجاهلي إلى المفاخرة بالمجد القديم. وربما كان هذا
 النوع من الفخر نوعاً من الصراع بين النظامين: الملكي والقبلي، فيزيد بن الخدّاق الشني فخر
 النعمان بن المنذر، فذكر تقلب حاله، ومحاولته النيل من قومه، واستعصاءهم على من يبغهم
 الذل والخسف، فهم ذوو مجد وأنفه. فقال(3):

-الكامل-

فَإِذَا بَدَا لَكَ نَحْتُ أُثْلِتْنَا فَعَلَيْكَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا حَرْدٍ(4)
 يَا بِي لَنَا أَنَا ذُوؤُ أَنْفٍ وَأُصُولُنَا مِنْ مَحْتِدِ الْمَجْدِ(5)
 إِنْ تَعَزُّ بِالْخِرْقَاءِ أُسْرَتْنَا تَلَقَ الْكِتَابِ دُونَنَا تَرْدِي(6)
 أَحْسَبْتَنَا لِحْمًا عَلَى وَضْمٍ أَمْ خَلْتَنَا فِي النَّبَاسِ لَا نُجْدِي(7)
 وَهَزَزْتَ سَيْفَكَ كَيْ تَحَارِبَنَا فَانظُرْ بِسَيْفِكَ مَنَ بِهِ تُرْدِي

أما المرقش الأكبر فكانت صرخته بوجه المنذر أقوى وأعنف، فقد أبدى له من الجرأة
 والقدرة ما يثبت قوته، ويبين له أنه لا يكثرث بظلمة، بل وأشاد بإبائه وشجاعته، وعدم استسلامه
 فقال(1):

(1) الديوان ص29.

(2) دين الملوك: طاعتهم والخضوع لهم، اللقاح: القبيلة التي لا تدين للملوك، أو لم يصيها سباء أو أسر.

(3) المفضليات ص296، وانظر القيسي: نوري حمودي، دراسات في الشعر الجاهلي ص99.

(4) الأثلة: شجرة، جعلها مثلاً لعزهم، الحرد: القصد والتعمد.

(5) المحتد: الأصل.

(6) الخرقاء: الجهل، تردى: من الرديان، وهو فوق المشي ودون العدو.

(7) الوضم: ما وقى اللحم من التراب من خشبه أو حصير.

(1) المفضليات ق48 ص228.

- الخفيف -

أَبْلِغَا الْمُنْذِرَ الْمُنْقَبَ عَنِّي غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ وَلَا مُسْتَعِينٍ
لَاتَ هُنَا وَلَيْتَنِي طَرْفَ الزُّرْ جَّ وَأَهْلِي بِالشَّامِ ذَاتِ الْقُرُونِ (1)
بِأَمْرِي مَا فَعَلْتَ عَفَّ يَوْسُ صَدَقْتَهُ الْمَنَى لِعَوْضِ الْحَيْنِ (2)
غَيْرَ مُسْتَسْلِمٍ إِذَا اعْتَصَرَ الْعَا جِزٌ بِالسَّكْتِ فِي ظِلَالِ الْهُونِ (3)
يُعْمَلُ الْبَازِلُ الْمَجْدَةَ بِالرَّحَى لَ تَشْكَى النَّجَادَ بَعْدَ الْحُزُونِ (4)
بِفَتَى نَاحِفٍ وَأَمْرٍ أَحَاذُ وَحَسَامٍ كَالْمَلْحِ طُوعَ الْيَمِينِ (5)

وهذا عنتره العبسي يقول مفتخراً بقومه، ومهدداً النعمان بن المنذر بأن يده ستطوله وأخاه يوماً ما، مصوراً نفسه كالأفعى الملساء، في أنيابها الموت والهلاك، مفتخراً بشجاعته، فهو الفتى الذي يدخل المعركة غير هياب، لأنه سيعود منها ورمحه مخضب بالدماء. - وكان أخوه الأسود بن المنذر قد أجاز خالد بن جعفر بن كلاب قاتل زهر بن جذيمة بن رواحة العبسي - (6):

- البسيط -

إِن كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَنَّ يَدِي قَصِيرَةٌ عَنكَ، فَالْأَيَّامُ تَتَقَلَّبُ
الْيَوْمَ تَعْلَمُ، يَا نَعْمَانُ، أَيَّ فَتَى يَلْقَى أَخَاكَ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْعُصْبُ (7)
إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامِسُهَا عِنْدَ التَّقَلُّبِ، فِي أَنْيَابِهَا، الْعَطْبُ (1)
فَتَى يَخْوِضُ غَمَارَ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا، وَيَنْتَنِي، وَسِنَانُ الرَّمْحِ مُخْتَضِبُ (2)

-
- (1) لات هنا: ليس هذا وقت إرادتك إياي، طرف الزج: أي في طرف الزج، والزج: موضع. ذات القرون: القرون الضفائر، ووصف الشام بذلك لما أنها كانت في حكم الروم، وهم يصفرون شعورهم.
(2) لعوض الحين: أهد الدهر.
(3) اعتصر: التجأ. السكت: السكوت. الهون: الهوان.
(4) البازل: يوصف به الجمال والناقة. المجدة: الجادة في سيرها. بالرحل: أي تجد وعليها راكب فوق الرحل. النجاد: جمع نجد، وهو ما ارتفع من الأرض الحزون: جمع حزن، وهو ما غلظ من الأرض.
(5) الناحف: الخفيف. الأحذ: الخفيف.
(6) الديوان ص 119.
(7) غره: أعجبه ضلالاً. العُصْب: الجماعات. وانظر ديوان عامر بن الطفيل ص 156.
(1) لانت: رقت ونعمت. التقلب: التحرك. العطب: الموت والهلاك.
(2) يخوف: يقتحم. غمار: من غمرة الشيء ما يغطيه أو ما يذهل فيه. مختضب: مخرج بالدماء.

فالحضوع للقوة الملكية الغاشمة لا يرتضيه الأحرار الصرحاء أبداً، ويبدو أن هذا المعنى أيضاً كان يأتي رداً على استهانة الملوك بالأنساب والأمجاد، ومن هذا المنطلق جاء رد عمرو بن كلثوم على عمرو بن هند حين قال⁽¹⁾:

- الوافر -

وَرثْنَا مَجْدَ عَقْمَةَ بْنِ سَيْفٍ أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ المَجْدِ دِينَا
وَرثْتُ مُهْلَهلاً وَالخَيْرَ مِنْهُ زُهَيْراً نَعَمَ ذُخْرُ الذَاخِرِينَا⁽²⁾
وَعَتَاباً وَكُلْثوماً جَمِيعاً بِهِمْ نَلْنَا تَرَاثَ الأَكْرَمِينَا⁽³⁾
وَذَا البُرَّةِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بِهِ نُحْمَى وَنُحْمَى المُحْجَرِينَا⁽⁴⁾
وَمِنَّا قَبْلَهُ السَّاعِي كُلِّيْبٌ فَأَيُّ المَجْدِ إِلا قَدْ وَلِينَا

وكما كان هناك افتخار على الملوك، فقد كان هناك النقيض لذلك، وهو الافتخار بالملوك، والإقرار بالمكانة الخاصة لهم. من ذلك قول عوف بن الأحوص مفتخراً بالملوك، ومقراً بمكانتهم التي لا يوازيها مكانة إذ يقول⁽⁵⁾:

- الوافر -

وَمَا إِنْ خَلْتُمْ مِنْ آلِ نَصْرٍ مُلُوكاً، وَالمُلُوكُ لَهُمَ غَلَاءُ
بَلْ إِنْ هُنَاكَ مِنْ افْتَخَرَ بِانْتِسَابِهِ لِمُلُوكٍ، مُعَلِّناً الانْتِمَاءَ إِلَيْهِمْ، وَاصفاً إِيَّاهُمْ بأَفْضَلِ الصِّفَاتِ،
فَهُمُ الأَجْوَادُ الَّذِينَ يَكْرُمُونَ الضَّيْفَ، وَيَحْمِلُونَ الدِّيَاتِ، وَيَكُونُ الأَسْرَى، وَهُمُ الشُّجْعَانُ القَادِرُونَ
عَلَى مَوَاجَهَةِ الفَرَسَانِ.

يقول امرؤ القيس⁽¹⁾:

- الخفيف -

وَكَئِدَةٌ قَوْمِي مُلُوكُ البِلَادِ فَأَنمِي إِلَيْهِمْ إِذَا مَا انْتَمَيْتُ

(1) الديوان ص 80، 81.

(2) المهلهل: هو الفارس الشاعر المشهور وهو جد الشاعر من قبل أمه. زهير: جدّه من قبل أبيه.

(3) عتاب: جدّ والد الشاعر وكلثوم: والده.

(4) ذو البرة: رجل من بني تغلب بن ربيعة وقيل: هو كعب بن زهير، وإنما قيل له ذو البرة: لأنه كان على أنفه شعر خشن يشبه البرة، وهي الحلقة تجعل في أنف البعير.

(5) المفضليات، ص 175.

(1) الديوان، ص 319.

كِرَامُ الْمُقَارِي، حَسَانُ الْوَجُوهِ
بِحَمْلِ الدِّيَاتِ، وَفَاكَّ الْعِنَاةِ
فَلَنْ يَفْضَحُونِي إِذَا مَا اعْتَرَيْتُ⁽¹⁾
وَقَتْلِ الْكُمَاةِ، مَعَدًّا عَلَاوَتُ

وكما افتخر امرؤ القيس بانتسابه للملوك افتخر، حسان بملوك الغساسنة، وبانتسابه إليهم،

فقال⁽²⁾:

- الرمل -

مِنْهُمْ أَصْلِي فَمَنْ يَفْخَرُ بِهِ
نَحْنُ أَهْلُ الْعِزِّ وَالْمَجْدِ مَعًا
يَعْرِفُ النَّاسُ بِفَخْرِ الْمُفْتَخِرِ
غَيْرُ أَنْكَاسٍ وَلَا مِيلٍ عُسْرُ⁽³⁾
فَسَلُّوا عَنَّا وَعَنْ أَفْعَالِنَا
كُلُّ قَوْمٍ عِنْدَهُمْ عِلْمُ الْخَبَرِ

كما يعلن حسان انتسابه إلى الملك عامر بن ماء المزن ابن حارثة الغطريف بن امرئ

القيس فيقول⁽⁴⁾:

- الطويل -

مُلُوكٌ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ كَأَنَّا
إِذَا غَابَ مِنْهَا كَوَكَبٌ لَاحَ بَعْدَهُ
سَوَارِي نُجُومِ طَالَعَاتِ بِمَشْرِقِ⁽⁵⁾
شِهَابٍ مَتَى مَا يَبِيدُ لِلْأَرْضِ تَشْرِقُ
وَأَوْلَادِ مَاءِ الْمَزْنِ وَابْنِي مُحَرَّقِ⁽¹⁾
كَجَفْنَةَ وَالْقَمَقَامِ عَمْرٍو بِنِ عَامِرٍ

وقد رأى الشعراء في الوفادة على الملوك شرفاً عظيماً فتماجدوا فيه كقول حسان⁽²⁾:

- الكامل -

(1) اعتزيت: انتسب إليه صدقاً أو كذبا.

(2) الديوان ص 170.

(3) انكاس: من تكس: ضعف وعجز.

(4) الديوان ص 230.

(5) سوارى نجوم: نجوم ساريه مضيئة بالليل.

(1) جفنة: هو ابن عمرو بن عامر بن حارثة. أولاد ماء المزن: منهم المنذر بن الاسود بن النعمان بن المنذر. ابني محرق: هما الحرث بن عمرو بن عامر، والحرث بن ثعلبة بن جفنة وأبوهما عمرو بن امرئ القيس وهو محرق العرب.

(2) الديوان ص 250.

وَتَزُورُ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ رِكَابُنَا وَمَتَى نُحَكِّمُ فِي الْبَرِيَّةِ نَعْدِلُ

كما افتخروا بالوفادة على الملوك، وكانوا لا يأنفون من أخذ عطاياهم الملوك بل يرون فيها تشريفاً لهم، وتعظيماً لمنزلتهم، ومفخرة يعتزرون بها، ومن ذلك إقرار الحصين بن الحمام المريّ بأنّ فتیان قومه يلبسون في الحرب مما كساهم به عمرو بن هند ملك الحيرة فقال⁽¹⁾:

- الطويل -

عليهنّ فتیان كسَاهُم مُّحَرِّقٌ وكان إذا يكسُو أجاد وأكرما
صفائح بصرى أخلصتها قبونهاها ومُطَرِّداً من نسج داوود مُّبهِمَا⁽²⁾

كما افتخروا بمصاهرة الملوك وولادة بناتهم لهم، كقول الحارث بن حلزة يخاطب عمرو ابن هند⁽³⁾:

- الخفيف -

وَوَلَدْنَا عَمْرَو بْنَ أُنَاسٍ مِنْ قَرِيبٍ لَمَّا أَتَانَا الْحِيبَاءُ⁽⁴⁾
ليس هذا فقط، بل وافتخروا أيضاً بمنادمتهم الملوك، ومجالستهم، فقد رأوا في منادمة الملوك ارتقاء يستدعي الاعتزاز، وعظم العامة اقتران أسمائهم بالملوك كقول الخرنوق أخت طرفة بن العبد ترثي زوجها عبد عمرو بن بشر: ⁽¹⁾:

- الوافر -

أَلَا هَلَاكَ الْمُلُوكُ وَعَبْدُ عَمْرُو وَخُلَيْتِ الْعِرَاقَ لَمَنْ بَغَاهَا

(1) المفضليات ق(12) ص66.

(2) صفائح: سيوف عريضة. بصرى: بلد تنسب إليه جياذ السيوف. القين: الحداد والصقيل. أخلصتها: جاءت بها خالصة من العيوب. المطرد: المتتابع الذي ليس فيه اختلاف، يريد أنها لا فتق فيها ويقصد بها الدرع. المبهم: الذي لا تلم فيه ولا خرق، أو: الذي لا يخالط لونه لون آخر.

(3) الديوان ص45.

(4) الحياء: المهر.

(1) نصار: حسين، الديوان ص39، وانظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص125.

فنرى أن الفخر غلب على الشعر الجاهلي بالزام من واقع البيئة التي تقوم على التنازع،
فالشاعر كان محامياً يدافع عن قضية القبيلة.

أما الفضائل التي يفنخر بها، فهي فضائل جاهلية، تولدت من واقع البيئة فهي تمثل صراع
الإنسان مع نفسه، ومع ما يعايشهم في سبيل تحقيق ذاته وصيانة كرامته وعزة نفسه.

الاعتذار:

أما الاعتذار فكان قليلاً في أشعار الشعراء، وهو فن تتداخل فيه عاطفة الخوف، مع
عاطفة الشكر والرجاء، والغاية منه إخماد ثورة الغضب الساخطة في نفس المعتذر إليه،
والحيلولة بينه وبين العقوبة، أو العتب من خلال تبرئة نفسه؛ حتى يستطيع إصلاح الحال؛ لتعود
الأمر إلى ما كانت عليه، وقد فرضت هاتان الغايتان على شعراء الاعتذار أن يسلكوا في
اعتذاراتهم مسلكاً يتشابه إلى حد بعيد من حيث المعاني، فيتخيروا من معاني المدح ما يكون
وثيق الصلة بطبيعة الموقف الاعتذاري. وأسرعها نفوذاً إلى المتلقي. ومن ثم يكون المدح
عنصراً أساسياً في الاعتذار حتى يهيب الشاعر نفس المتلقي، لتكون أكثر استعداداً لقبول ما يلقي
إليها في قضية الاعتذار.

ومن أهم دوافعه ندم الشاعر على مفارقة عظيم، أجبره الوشاة والحساد على مفارقتة،
إضافة إلى الرغبة الخفية في العودة إلى نعيم ذاق الشاعر حلاوته، وشق عليه أن يخرج نفسه
منه، والرغبة في تطهير النفس وإيرائها من أسباب الكدر وآلامها، وكسب ود صديق، والرغبة
من نقمه هذا الملك العظيم، ويبدو أن طبيعة حياة القصور، وما يكثر فيها من دس، ووقيعه
ووشايات كانت تدفع بالشعراء إلى الدفاع عن أنفسهم ودفع هذه الدسائس بأنفسهم مخافة الفتك
بهم، فيقولون شعراً ويكتبونه معتذرين⁽¹⁾.

(1) عبد الواحد: محمود عباس، فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات، دار الهداية 1991 ص75. وانظر: ضيف:
شوقي، العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ط7، 1960 ص211، والشطبي: عبد الفتاح، شعراء إمارة الحيرة
ص396، والجندي: علي، في تاريخ الأدب الجاهلي ص405 وطليمات: غازي، الأدب الجاهلي ص340.

فهذا النابغة الذبياني يبعث بقصائده؛ معتذراً للنعمان بن المنذر عن مقامه بين الغساسنة،
مظهراً قلقه من سوء التفاهم، والقطيعة، التي بينهما فيقول⁽¹⁾:

- الطويل -

ألم ترَ أن الله أعطاك سورةً ترى كلَّ ملكٍ دونها يتذبذبُ
فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهنَّ كوكبٌ

فالملك النعمان لا يشبهه أو يناظره أحد من الملوك، فأبهته وعظمته وسلطانه تغطي على
الآخرين، وتخفي معالمهم، كالشمس حينما تسطع، تتلاشى أمامها الكواكب. وهو أعظم من يعفو
عن الذنوب، ويصفح عن الهفوات، فهو أهل الرضا والإكرام، وهو قاض عادل يعرف كيف يرد
الظلمة وينصف الظنين قال النابغة⁽²⁾:

- الطويل -

فإن أكُ مظلوماً؛ فعبدُ ظلمتَهُ؛ وإن تكُ ذاعبتي، فمئتُك يُعْتَبُ

ويقول أيضاً⁽³⁾:

- الطويل -

فإنك كالليل الذي هو مُدركي، وإن خلتُ أن المُنْتأى عنك واسعُ

فالشاعر يعظم الملك، ويجعله سيِّداً قاهراً، يبسط يده الباطشة على الدنيا كلها، فلا يفوتها
مطلوب، ولا يجد الهارب منها مأمناً يلوذ به. فالنعمان يغطي الدنيا ويصل إلى الشاعر، فأين
المفر منه؟!!

ولم يكن النابغة هو الشاعر الوحيد الذي يخشى عقاب الملك ويخاف منه، فهذا طرفة وفي
معرض اعتذاره للملك عمرو بن هند - وقد بلغه أنه هجاه - يقول⁽¹⁾:

(1) الديوان ص25.

(2) الديوان ص25.

(3) الديوان، ص127.

(1) الديوان ق(10)، ص113.

- الكامل -

إني، وَجَدَّكَ، ما هَجُوتُكَ وَالـ
وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِذَلِكَ إِذْ حُبِسْتُ
أَخْشَى عِقَابَكَ إِنْ قَدَرْتُ وَلَمْ
أَنْصَابِ يُسْفَحُ بَيْنَهُنَّ دَمٌ⁽¹⁾
وَأَمْرٌ دُونَ عِيَّةِ دَةِ الْوَدَمِ⁽²⁾
أَغْدِرُ فَيُؤَثِّرُ بَيْنَنَا الْكَلِمُ

أما المنقب العبدى فيعتذر إلى النعمان بن المنذر؛ ليطلق سراح قومه: راسماً له صورة تليق بملكه، فهو الكريم الجواد، وكونه من سلف صالح زاده هذا كرمًا، كما علت الكواكب على النجوم، فهو وآبؤه كالسعود بين النجوم التي هي الملوك، وإلى جانب ذلك، فهو المؤيد من الله، فالله ينصره، ولو علم أنّ الجبال قد خالفت أوامره لربط الجبال بالجبال، وسلمها له خاضعه منقاداً.

فهو الشجاع والمقدام، شديد البطش بأعدائه. ويتساءل المنقب - ليدل على عظمة وبطش ممدوحه -، أية قبيلة لم يقتل فيها من شاء، وكأنه مباح له، وإن أراد البطش فإنّ الغبار الناتج عن المعركة يصل إلى عنان السماء، فيقول⁽³⁾:

- الطويل -

فَإِنَّ أَبَا قَابُوسَ عِنْدِي بِلَاؤُهُ
رَأَيْتُ زِنَادَ الصَّالِحِينَ نَمِيئُهُ
فَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ الْجِبَالَ عَصِيئُهُ
فَإِنَّ تَكَّ مَنَا فِي عُمَانَ قَبِيلَهُ
وَقَدْ أَدْرَكْتَهَا الْمُذْرِكَاتُ فَأَصْبَحَتْ
إِلَى مَلِكٍ بَدَّ الْمُلُوكَ فَلَمْ يَسَعْ
جَزَاءً بِنُعْمَى لَا يَحِلُّ كُنُودُهَا⁽¹⁾
قَدِيمًا، كَمَا بَدَّ النُّجُومَ سُعُودُهَا⁽²⁾
لَجَاءَ بِأَمْرَاسِ الْجِبَالِ يَقُودُهَا⁽³⁾
تَوَاصَّتْ بِإِجْنَابٍ وَطَالَ عُنُودُهَا⁽⁴⁾
إِلَى خَيْرٍ مَنْ تَحْتَ السَّمَاءِ وَفُودُهَا
أَفَاعِيلُهُ حَزْمُ الْمُلُوكِ وَجُودُهَا

(1) الأنصاب: مفرداها النصب وهو ما عبد دون الله من التماثيل والأشخاص، يسفح: يراق ويهدد.

(2) هممت: عزمت. أمر: قتل قتلاً محكماً. عبيدة: تصغير مرخم لاسم معبد بن كعب أخي طرفة. الودم: مفرداها الودمة، وهي السير بين أذن الدلو والحشبة. يؤثر: يشاع. الكلم: الكلام الفاحش.

(3) شرح الديوان، ص46، 47، وانظر المفضليات ق(28)، ص151، 152.

(1) الكنود: الكفر. بلاؤها: هلاكها.

(2) الزناد: جمع زند بفتح الزاي، وهو ما يقدح منه النار من الشجر. بد: سبق وغلب سعودها: هي عشرة أنجم معروفة، كل واحد منها سعد.

(3) المرساة: بفتحيتين: الحبل.

(4) الأجناد: المجانية والمباعدة. العنود: المخالفة والاعتراض والميل عن الحق.

وَأَيُّ أَنَسٍ لَا يُبِيحُ بِقَتْلِهِ يُؤْزِرِي كُبَيْدَاتِ السَّمَاءِ عَمُودَهَا⁽¹⁾

ومن الشعراء من اعتذر للملك عن خطأ ارتكبه أو فعل قام به، وذلك ما تحكيه أبيات الشاعر اليشكري علباء بن أرقم بن عوف، من وثبه على كبش للنعمان كان قد أحماه، فذبحه، فأغضب ذلك النعمان، فحمل إليه. فلما وقف بين يديه أنشد قصيدة له معتذراً فيها وموضحاً له أنه وبالرغم مما فعل، وبالرغم من تخويف الناس له من النعمان، إلا أنه استشعر في نفسه سماحته وجوده وسخاء يديه، فأقدم على ما أقدم عليه فقال⁽²⁾:

أُخَوِّفُ بِالنُّعْمَانِ حَتَّى كَأَنَّمَا قَتَلْتُ لَهُ خَالاً كَرِيماً أَوْ ابْنَ عَمِّ
وَإِنَّ يَدَ النُّعْمَانِ لَيْسَتْ بِكَرَّةٍ وَلَكِنْ سَمَاءٌ تُمْطِرُ الْوَيْلَ وَالذِّيمَ⁽³⁾
أما عمرو بن قميئة فما هو يعتذر إلى المنذر ملك الحيرة مفتدياً إياه بأهله وماله ومعتذراً عما نقله إليه الوشاة. فالمنذر قد صدق ما قاله الأعداء، وهو يرجوه بالتريث، ويدعو له بالهداية، في حوار جميل وقد أسقط في يديه، فيقول متذلاً⁽⁴⁾:

- المتقارب -

فأهلي	فداؤك	مُستَعْتِياً	عتبت	فصدقت	في	المقالات
أتاك	عدو	فصدقته	فهلاً	نظرت	هديت	السؤال

وهو إذ يدافع عن نفسه، لا يقر بما قالوا، لأنه لم يقل شيئاً أصلاً، ثم يدعو على نفسه بأن يصيبه الويل والثبور، حتى لا تصل يمينه يساره، إن كان ما وصله صحيحاً.

ويتوسل إليه أن يتصدق عليه ويصفح عنه حيث يقول⁽¹⁾:

- المتقارب -

فما قلت:	ما نطقوا باطلاً	ولا كنتُ	أرهبه	أن يُقالا
فإن كان حقاً	كما خبروا	فلا وصلتُ	لي يمين	شمالا

(1) كبيد: مصغر كبد، وهو وسط الشيء ومعظمه.

(2) الأصمعيات، ص 159.

(3) كزه: منقبضة.

(4) الديوان ص 69.

(1) الديوان ص 70.

تصدّق عليّ فأني امرؤ أخافُ عليّ غيرِ جُرمِ نكالا(1)

ومن الشعراء من مزج الاعتذار بالاستعطف، خوفاً من قدرة الملك وجبروته. فكان الشعراء يلجأون إليه، لصرف الملك عن غزو قومهم. فإذا ما همّ هذا الملك بغزو قوم الشاعر انبرى الآخر، يستعطف الملك، ويعتذر إليه، مبيناً ما لاقاه من مشقة للوصول إليه، وما دفعه إلى هذه المشقة من كريم صفات الملك، معلناً في الوقت نفسه الولاء له، فيكون للكلمة الطيبة أثرها في نفس الملك، ونجاة قبيلة الشاعر. على نحو ما نرى في قصيدة الممزق العبدي التي قالها مستعظفاً الملك عمرو بن هند، معتذراً إليه، بعد أن بلغه نية الملك بغزو عبد القيس، مما دفع الملك للانصراف عمّا نوى، فقال(2):

(1) النكال: العقاب.

(2) الأصمعيّات ق(58) ص166.

- الطويل -

أَحَقًّا أُبَيَّتَ اللَّعْنَ أَنْ ابْنَ فَرْتَنَا عَلَى غَيْرِ إِجْرَامٍ بَرِيقِي مُشْرِقِي⁽¹⁾
فَإِنْ كُنْتُ مَأْكُولًا فَكُنْ خَيْرَ أَكَلٍ وَإِلَّا فَأَدْرَكْنِي وَلَمَّا أُمْرَقُ
أَكَلَفْتَنِي أَدْوَاءَ قَوْمِ تَرَكْتُهُمْ وَإِلَّا تَدَارَكْنِي مِنَ الْبَحْرِ أُغْرَقُ⁽²⁾
فَإِنْ يُتْهِمُوا أَنْجِدْ خِلَافًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ يُعْمِنُوا مُسْتَحْقِي الْحَرْبِ أُعْرِقُ⁽³⁾
فَلَا أَنَا مَوْلَاهُمْ وَلَا فِي صَحِيفَةٍ كَفَلْتُ عَلَيْهِمْ، وَالْكَفَالَةُ تَعْتَقِي
وَوَطْنِي بِهِ أَنْ لَا يُكْذِرَ نِعْمَةً وَلَا يَقْلِبَ الْأَعْدَاءَ مِنْهُ بِمَعْبِقِي⁽⁴⁾

وقد يكون ذلك لإطلاق أسرى القوم، فهذا عبيد بن الأبرص، وهو من شعراء ذلك اللون أيضاً، يستعطف الملك حجراً الذي كان حاكماً على بني أسد، وملكاً عليهم. ويعتذر إليه في قصيدة لإطلاق سراح قومه الذين أسرههم الملك حجر، وأباح أموالهم، وصيرهم إلى تهامة؛ إثر منعهم الإتاوة التي كانوا يدفعونها له في كل سنة، وضربهم رسله، وهو إذ يقف بين يديه معتذراً ومستعظفاً ليظهر قوة هذا الملك، وخضوع قومه له، فهو الملك عليهم، وهم العبيد إلى أن تقوم الساعة. مؤكداً أنه إن تركهم فقد عفا عنهم، وإن قتلهم فلن يلام على ذلك، فهم قد نلوا إليه وأصبحوا كالبعير. فيقول⁽⁵⁾:

- مجزوء الكامل -

جَلًّا - أُبَيَّتَ اللَّعْنَ - جَلًّا إِنَّ فِيمَا قُلْتُ أَمَةً⁽⁶⁾
فِي كُلِّ وَادٍ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّ فَالْقُصُورِ إِلَى الْيَمَامَةِ
تَطْرِبُ عَانَ أَوْ صِيَا حُ مُحَرَّقٍ أَوْ صَوْتُ هَامَةٍ⁽⁷⁾
مَهْمَا تَرَكْتَ تَرَكْتَ عَفْوًا أَوْ قَتَلْتَ فَلَا مَلَامَةَ
أُنَيْتَ الْمَلِيكَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ الْعَبِيدُ إِلَى الْقِيَامَةِ
ذَلُّوا لِسَوِّطِكَ مِثْلَ مَا ذَلَّ الْأَشْيَقْرُ ذُو الْخِرَامَةِ⁽¹⁾

(1) ابن فرتنا: يراد به اللثيم، قد يكون شخصاً مسمى بهذا، وقد يكون نيزاً سب به سخا. مشرقي: من الشرق: وهو بالماء والريق كالغصص بالطعام، وشرق بريقه: امتلاً فضاق.

(2) أدواء: نزل به داء.

(3) مستحقي: حاملي عبئها (اللسان حَقَب). يتهم، وينجد، ويعرق، ويعمن: يأتي: تهامة ونجدا وعمان والعراق.

(4) معيق: من قولهم عبق بالمكان إذا لزمه وأقام به.

(5) الديوان، ص 125، 126.

(6) أمه: العيب.

(7) هامة: طائر من طيور الليل صغير يألف المقابر، ويقال هو الصدى، وقيل البومه.

(1) الأشيقر: تصغير الأشقر وهو الأحمر من الدواب. الخرامه: حلقة من شعر تجعل في وتره أنف البعير يشد بها الزمام.

ويقابلنا حاتم الطائي سفيراً عن قومه إلى ملك الغساسنة، ذاهباً؛ لذك أسرى قومه، وإطلاق سراحهم، وكان قد أسرهم الملك الغساني، على أثر إغارة طيء على ملك غسان، وقتلهم ابنا لهم. يقول حاتم⁽¹⁾:

- المتقارب -

فَأَجْمَعُ، فِدَاءً لَكَ الْوَالِدَاتُ لَمَّا كُنْتَ فِينَا بِخَيْرٍ مُرِيدَا
فَتَجْمَعُ نَعْمَى عَلَى حَاتِمٍ وَتَحْضِرُهَا مِنْ مَعَدٍّ شُهُودَا
أُمُّ الْهَلْكَ أَدْنَى، فَمَا إِنْ عَلِمْتُ عَلِيَّ جُنَاحًا، فَأَخْشَى الْوَعِيدَا⁽²⁾
فَأَحْسِنُ، فَلَا عَادَ فِيمَا صَنَعْتَ تُحْيِي جُدُودًا وَتُبْرِي جُدُودًا⁽³⁾
جُدُودًا⁽³⁾

أما علقمة الفحل فقد كان أخوه شأس بن عبده رجلاً من بني تميم، قد وقعوا أسارى في قبضة الحارث بن أبي شمر الغساني، فقصده علقمة بقصيدة، يستعطفه، ويشفع لأخيه، ويطلب من مليكه النوال، وهو الإفراج عن أخيه، ويشكو إليه ما أصابه من خيبة الرجاء فيمن سواه من الملوك، وهو إذ يشير إلى دينونة الآخرين وطاعتهم له، ليمدحه بحسن معاملته لأسراه، فليس لأحد يدانيه في مجلسه إلا أسيره فهو لا يذل أسيره ولا يهينه، فيقول⁽⁴⁾.

- الطويل -

فَلَا تَحْرِمْنِي نَائِلًا عَنْ جِنَابَةٍ فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسَطَ الْقِيَابِ غَرِيبٌ⁽⁵⁾
وَأَنْتَ امْرُؤٌ أَفْضَتْ إِلَيْكَ أَمَانَتِي وَقَبْلَكَ رَبَّنْتِي فَضِيعْتُ رُبُوبِ
وَأَنْتَ الَّذِي آثَرُهُ فِي عَدُوِّهِ مِنَ الْبُؤْسِ وَالنُّعْمَى لَهْنٌ نُدُوبٌ⁽⁶⁾
وَفِي كُلِّ حَيٍّ قَدْ خَبَطْتَ بِنِعْمَةٍ فَحَقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نَدَاكَ ذُنُوبٌ⁽¹⁾
وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا أَسِيرُهُ مُدَانٍ، وَلَا دَانَ لِذَاكَ قَرِيبٌ

(1) الديوان، ص 61.

(2) الجناح: الذنب.

(3) بُرِي: من براه أهزله وأضعفه، وربما أراد هنا تفني.

(4) الديوان ص 28 وما بعدها. المفضليات ق (120) ص 394 وما بعدها.

(5) الجنابة: البعد والغربة.

(6) ندوب: آثار الجراح.

(1) الذنوب: بفتح الذال: الدلو.

أما الشاعر عدي بن زيد العبادي، فقد كان من بين أولئك الشعراء الذين اعتذروا إلى الملك واستعطفوه، قال العديد من القصائد وهو في سجنه معتذراً فيها للنعمان بن المنذر، فقبل سجنه كان له حظ عند النعمان، فهو من مهد له وساعده في الوصول إلى الحكم قبل أن ينقلب عليه بفعل الوشاة، ويسجنه، ومن ثم يقتله، فرجل كعدي عاش في القصور، وترعرع في حياة كلها ترف، عسير عليه أن ينتقل إلى عيشة قاسية، فكان لا بُدَّ أن يلهب السجن مشاعره، فيحس بالألم والحسرة، ليقول شعراً مخاطباً النعمان ومعتذراً إليه في استعطاف، فيقول⁽¹⁾:

- الخفيف -

لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْهَمَامِ وَيَا
 أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْ
 وَنِضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسَ بَرَّ
 فَأَصَبْتُ الَّذِي تُرِيدُ بِلَا غَبِّ
 يَوْمَ لَا أَتَّقِي بِكَفِّي طَوَالَ الدَّ
 وَبِعَيْنَيْكَ كُلُّ ذَلِكَ تَخَطَّ
 لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَتْفِي بِكَفِّ
 تَيْكَ بِخَيْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّوَالِ
 أَنْفُسَ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ نَوَالِ⁽²⁾
 مُونَ وَأُرْمِي وَكُلْنَا غَيْرُ آلِ⁽³⁾
 مِنْ وَأُرْبِي عَلَيْهِمْ وَأُوَالِي
 هُرِّ أَنْصَارُهُ بِغَيْرِ احْتِيَالِ
 كَ وَتَخْطِيكَ نَبْلُهُمْ فِي النَّضَالِ⁽⁴⁾
 سِيَّ وَلَمْ أَلْقَ مَيْتَةَ الْأَقْتَالِ⁽⁵⁾

فالشاعر يتمنى أن يعرف وقع الشكوى على النعمان، متسائلاً بحسرة عما قدمه له من مال، ونفس، وكيف مهد له للوصول إلى الحكم، متمنياً لو أنه مات على يد النعمان، وليس على يد عدوه. ويعود عدي وفي موضع آخر يستعطف النعمان ويقسم له، أنه بريء مما نسب إليه. مذكراً إياه، كيف كان له، وكيف كان على أعدائه. وكيف ساعده على توليه العرش، متسائلاً أيكون جزاؤه الإذلال؟! مؤكداً أنه لو ظلم فإنه نال عقابه وجزاءه⁽¹⁾، فيقول: ⁽²⁾

(1) الديوان ص56، 57.

(2) ناهدوا: نهد للعدو وإلى العدو: أسرع في قتاله. أخطارنا المال والأنفس: بذلها وجعلها خطراً.

(3) ألا الرجل يألو: قصر.

(4) تخطاك: جاوزك.

(5) الأقتال: جمع قتل، وهو العدو.

(1) عبد الله: سناء أحمد، توظيف الموروث في شعر عدي بن زيد العبادي وأميرة بن أبي الصلت الثقفي ص301.

(2) الديوان ص39، 40، 41.

- الوافر -

سعى الأعداء لا يألون شراً
أرادوا أن يمهل عن كبير
وكنت لزاز خصمك لم أعرّد
أعالنهم وأبطن كل سر
ففرّت عليهم لما التقينا
وما دهري بأن كدرت فضلاً
ألا من مبلغ النعمان عني
أحظي كان سلسلة وقيداً
فإن أخطأت أو أوهمت أمراً
وإن أظلم فقد عاقبتموني

عَلِيَّ وَرَبَّ مَكَّةَ وَالصَّليبِ
فَيُسْجَنَ أَوْ يُدْهَى فِي قَلْبِ (1)
وَقَدْ سَلَكُوكَ فِي يَوْمِ عَصِيبِ (2)
كَمَا بَيْنَ اللِّحَاءِ إِلَى العَسِيبِ
بِتَاجِكَ فَوَزَةَ القَدْحِ الأَرِيبِ (3)
وَلَكِنْ مَا لَقِيتُ مِنْ العَجِيبِ
وَقَدْ تُهْدَى النَّصِيحَةُ بِالمَغِيبِ
وَعِلاًَّ وَالنِّبَانُ لَدَى الطَّيِّبِ
فَقَدْ يَهْمُ المُصَافِي بِالحَبِيبِ
وَإِنْ أُظْلِمَ فَذَلِكَ مِنْ نَصِيبِي

أما النابغة، - وهو من طرق باب الاستعطاف من خلال شعر الاعتذار - فلم يستطع وهو يمدح الغساسنة، وينقلب في نعيمهم، أن ينسي أبا قابوس، بل أرسل له العديد من القصائد معتذراً ومستعظفاً، فقال (4):

- البسيط -

أُنْبِتُ أَنْ أبا قابوسَ أُوْعِدَنِي،
مَهْلاً فِدَاءً لَكَ الأَقْوَامُ كُلُّهُمْ
لَا تَقْذِفْنِي بَرُكْنَ لَا كِفَاءَ لَهُ

وَلَا قَرَارَ عَلَى زَارٍ مِنَ الأَسَدِ
وَمَا أُثْمَرُ مِنْ مَالٍ وَمِنْ وَادٍ (5)
وَإِنْ تَأْتَفَكَ الأَعْدَاءُ بِالرَّفْدِ (1)

(1) يُدْهَى: يدرج - قليب: البئر البعيدة والتي لا صاحب لها.

(2) اللزاز: الذي يلزم الشيء، سلوكك: ادخلوك، عرد: فر وهرب.

(3) أبطن: أخبئ - اللحاء: قشر العود. العسيب: جريد النخل إذا نحي عن خصومه. القدح: السهم قبل أن يجهز أو سهم الميسر.

(4) الديوان ص 57.

(5) أثمر - أجمع.

(1) لا تقذفني بركن لا كفاء له: أي لا تقذف بي بمكان لا أحتمله ولا يقوم له مثل تأتفك: أحاطوا بك كالاتافي - الرقد: العطاء.

فهو الضعيف أمام النعمان وقوته وبطشه، فالنعمان أسد جائع يزأر، مفتدياً إياه بالمال والولد، راجياً إياه ألا يحمله ما لا يطيق؛ لأن النعمان هو القوي الذي لا يستطيع الأعداء مهما تآزروا أن يثبتوا أمامه.

ويبين في موضع آخر ما يحلّ به حين يجفوه النعمان، فيقول مستعظفاً، راسماً صورة مؤثرة يستدر بها الشفقة (1):

- الطويل -

فلا تتركني بالوعيد، كأنني إلى الناس مطليّ بها القار، أجربُ

وهكذا كان للملك حضور في الشعر الجاهلي فجااء في المديح، والرثاء، والهجاء، والحكمة، والاعتذار، والاستعطف، ممزوجاً بالقضايا الحياتية الأخرى.

(1) الديوان ص24.

الفصل الثالث

أبعاد صورة الملك في الشعر الجاهلي

1. البعد الديني
2. البعد النفسي
3. البعد الاجتماعي

الفصل الثالث

أبعاد صورة الملك في الشعر الجاهلي

لا يخفى على دارس الأدب العربي، والمتتبع له - بدءاً بمراحله الأولى، ووصولاً إلى العصر الحديث، أن الشعر العربي كان وما يزال، هو الوثيقة الحية الناطقة المعبرة عن كل قضايا الأمة، وخلجاتها، فإليه يعود الدارسون حين ييغون الاستزادة من فكر الأمة وتاريخها، فشعرهم وثيقة سجلت أيامهم، وحرورهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، وشعائرهم، ومعتقداتهم، تلك القضايا التي كانت انعكاساً للفكر العربي في الجاهلية.

والأدب - كما هو معروف - هو خلاصة علوم ومعارف تراكمت في العقل الباطن للشاعر في كل عصر، ورثها كائناً عن كائناً، تلك العلوم والمعارف التي شكلت ثقافة الشاعر ووعيه بالأحداث، فاستوعب ماضي الأمة وواكب حاضرها، واستشرف مستقبلها، فانعكس ذلك في شعره.

وما يزال الإعجاب يتملكنا ونحن نقرأ أشعار طرفة، والأعشى، والنابغة، وامراً القيس... الخ، فقد وعى هؤلاء - ومن غير قصد منهم - واقعهم وماضيهم، وتاريخ قبائلهم وأمتهم، وعوه بأبعاده الدينية والنفسية والاجتماعية، فما نحن نقرأ عاداتهم، وتقاليدهم، وقيمهم، ومعتقداتهم، وبعض مشاعرهم، في ثنايا قصائدهم، وتخير مفرداتهم.

كان الشاعر بؤرة تتجمع فيها اتجاهات عصره ومجتمعه، فعبر عن معتقدات أمته، وجماعته الأسطورية، وهو في استخدامه الأسطورة لم يكن يستخدمها في نوع من الترف الفكري، ولم يقصد الأسطورة لذاتها، بل وظفها للتعبير عن قضايا الأمة، والحراك الثقافي فيها، ولم يدر في خلدته يوماً بأن يلجأ إلى الأسطورة، أو يعبر عنها كي تتوارث من جيل إلى جيل، بل كان استخدامه للأسطورة شعوراً عميقاً بالتاريخ، ورؤياً توحد وتربط بين الأزمنة والأمكنة، بين الماضي والحاضر.

ولا يعني هذا أن الشعر العربي في مجمله أساطير، غير أنه يمكننا أن نستخلص من تلك الأسطورة أبعاداً مختلفة، قد تتداخل فيما بينها وتترابط معاً، ونحن إذ نلجأ إلى تقسيم هذه الأبعاد إلى أبعاد دينية، وأخرى نفسية، وأخرى اجتماعية، إنما نلجأ إلى هذا من منطلق التيسير ومحاولة رسم تلك الأبعاد، لا بقصد وضع الحدود الفاصلة بينها، وهو ما لا يمكن تحديده.

وسنحاول في الصفحات التالية استقصاء هذه الأبعاد، والوقوف على مدى توافرها في الشعر الجاهلي الذي تناول شخصية الملك بقصد استجلاء الصورة.

البعد الديني

الشعر الجاهلي مرآة للحياة الجاهلية، يعبر عنها في جميع نواحيها، ويشتمل على الكثير من الرموز الدينية والمعتقدات الأسطورية على شكل رواسب مبنوثة هنا وهناك، فالتراث الجاهلي عالم خصب وثري، يكشف عن كثير من القضايا الفكرية الموعلة في القدم، والتي تفسرها الطقوس الشعائرية في العقلية القديمة، ولأن الأساطير والخرافات تشكل جانباً من المعتقدات الدينية الجاهلية فقد صارت مكوناً أساسياً للصور الشعرية عند شعراء الجاهلية، بحيث تترد أكثر الصور الشعرية إلى أصول ميثولوجية مغرقة في القدم.

شكلت بيئة الشاعر عناصر صورة الملك في الشعر الجاهلي في جوانبها المختلفة، حيث كانت للملك مكانة سامية و متميزة في ذلك العصر، استمرت متوارثة عبر عصور متعددة. كان الجاهليون يقدسون الملك إلى درجة العبادة، ويعتبرونه إلهاً أو شبه إله، أمره مطاع، وكلمته مسموعة بحكم قدسية المولد وقدسية الحكم. فكان لهذا أثره في الفكر الجاهلي، وكان للشعر دوره في تسجيل ذلك الأثر.

وإذا نظرنا إلى صورة الملك في الفكر الجاهلي التي تعتبر امتداداً لصورته في التراث الإنساني، وجدناها قد خرجت من دائرة البشر، لتقترب من صورة الإله. فقد قُدمت الملوك تقديساً عظيماً، كان من مظاهر هذا التقديس: أنهم كانوا يخاطبون بالأرباب، ويدعون إلى إنزال المطر، يوقف على أبوابهم، بل ويطاف بها، كما ويستسقى بهم، ليس هذا فقط بل كانت لهم تحية

ذات ألفاظ خاصة يحيون بها، ويتميزون. فقد كان يقال للملك: "أبيت اللعن". أي أبيت أن تأتي من الأخلاق المذمومة ما تلعن عليه، كما كانت لهم حركات تؤدي عند الدخول عليهم، كالسجود بين أيديهم، كما كان الناس يخشون مقاتلتهم، أو منازلهم في الحروب والمعارك⁽¹⁾.

يؤيد ذلك قول مصطفى عبد الشافي "كان الملوك يقدسون في كثير من الأحيان، ليس فقط بصفتهم رجال دين أو كهنة، أو كوسطاء بين العبد والرب، بل أيضاً باعتبارهم هم أنفسهم آلهة، أو أرباباً قادرين على أن يمنحوا أتباعهم تلك البركات التي كان يظن أنها تجاوز طاقة البشر الفانيين"⁽²⁾.

فالملك رب مقرون بالشمس والقمر، يتميز عن الآخرين بأفعاله وقدراته التي لا يجاريه فيها أحد. ونتيجة لهذا الوضع المميز عبدت الملوك، واحتفظ الشعر الجاهلي بآثار دالة على هذا، فقد قال الأعشى يمدح الأسود بن المنذر اللخمي⁽³⁾:

- الخفيف -

أريحي، صلّت، يظل له القوم ركوداً قيامهم للهلاك
فصورة الملك هنا هي صورة القمر الإله. فالقوم يظلون ركوداً له في خشوع وسكون، كأنهم بين يدي الإله القمر. ففي الركود خشوع وهيبة، وهذا لا يكون إلا بين أيدي الإله، وفي قوله "يظل"، استمراره على هذا الأداء. وفي هذا أيضاً قداسة. فالعبادة لا تكون مستمرة إلا لإله، كما أنّ في صفاته ما يدل على الألوهية، فهو الصلت، والصلت من يعطي وهو مشرق مستبشر، وهذه صفة لا تكون إلا لمن يرتفع عن مستوى البشر، كما أنّ الإشراق صفة للشمس التي عبدها الجاهليون. وهذه الصفة تؤكد سموه وصلته بالآلهة.

(1) انظر: البطل، علي: الصورة في الشعر العربي، ص38.

أبو سويلم، أنور: دراسات في الشعر الجاهلي، ص70+135.

عويضات، نايف: صورة البطل في شعر عنتره، ص138-139.

(2) انظر: الشوري: مصطفى عبد الشافي: الشعر الجاهلي، تفسير أسطوري، ص69.

(3) الديوان، ص9.

وهي صورة ترتبط بعبادة القمر أيضاً، تلك العبادة التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية، فقد أشارت الدراسات إلى عبادة القمر عند القدماء حيث عرف بأسماء وصفات متعددة فهو "أد" عند المعينيين، إله معين الكبير، وإله قبائل أخرى، منها (ثمود)، وعرف باسم (المقه) عند السبئيين، كما عرف أيضاً بـ (سن وسين) عند الحضارمة وعند أهل الرافدين و الأساطير الكنعانية و (رخ) أو (عم) أو (شهر) عند القبانين، وعرف بـ (هبل)، وقد نعتوه بنعوت الرحمة والعلم - فهو سميع وقدير لأنه (أل هن) أي الله. وقد كانت له في "أور" و "حاران" و "بابل" مراكز عبادة، كما كانت سيناء وأريحا مزارات مقدسة له⁽¹⁾.

وجاء في القرآن الكريم ما يؤكد ان الناس قد عبدوا القمر فقال عز وجل: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن)⁽²⁾.

فإنه ينهى عن السجود للشمس والقمر ولا ينهي إلا عن شيء حادث فعلاً. ويتمثل هذا مع ما قاله الشاعر الأعشى معبراً عن قدسية الملك⁽³⁾:

- المنقارب -

فلما أتانا بُعيد الكرى سجدنا له ورفعنا العمارا

فنرى هذه الصورة مليئة بالحركة، فالناس يسجدون للملك، ويرفعون الريحان لأنهم بين يديه، ففي السجود وفي رفع العمامة - أي حين يرفعون الريحان، ويقولون عمرك الله - حركة. وهم حين يفعلون ذلك يكونون بين يديه، أليس هو نظير القمر الإله، ثم متى يكون هذا السجود؟

لا بُدَّ أن يكون السجود للقمر ليلاً، وفي هذا قدسية أيضاً.

(1) انظر: علي، جواد: *المفصل في التاريخ العرب قبل الإسلام* 292/6 وما بعدها والحوت، محمود سليم: *في طريق الميثولوجيا عند العرب*، ص 95+99.

والخطيب، عماد علي سليم: *الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي*، ص 272. ونيلسون، دتيلف: *التاريخ العربي القديم*، ترجمة فؤاد حسنين علي، وزكي محمد حسين، مكتبة النهضة المصرية، 1958، ص 206 وما بعدها.

(2) سورة فصلت، آية 37.

(3) الديوان، ص 51.

وقد استطاع الشاعر عنتره العبسي ومن خلال استخدامه عنصر الحركة إظهار هذه القدسية في قوله يمدح الملك زهير بن جذيمة العبسي:

- الخفيف -

مَلِكٌ تَسْجُدُ الْمُلُوكُ لَذِكْرِهِ هُ وَتُؤْمِي إِلَيْهِ بِالتَّفْخِيمِ⁽¹⁾

فزهير يظهر في هذه الصورة، وكأنه ملك الملوك، فالسجود لا يكون له فقط، ولكن أيضاً لذكراه. وتؤمي إليه الناس برؤوسها، يحنونها إجلالاً وتعظيماً في خشوع وتقديس. فخفض الرأس لا يكون إلا بين يدي الإله، كما أن في ألفاظ "تسجد" و"تؤمي" وهي أفعال مضارعة دلالة على استمرارية التعظيم.

ويصور الأعشى الملك كالبدر وقد استطاع بناء صورته بمهارة فنية، إذ تجاوز الصورة الجامدة إلى صورة حيّة، يتضافر في بنائها كل من السمع والحركة حيث يقول مادحاً إياس ابن قبيصة الطائي⁽²⁾:

- الوافر -

مُنِيرٌ يَحْسِرُ الْغَمْرَاتُ عَنْهُ وَتَجْلُو ضَوْءُ غُرَّتِهِ الظَّلَامَا

فالملك منير كالبدر، يجلو الظلام، لأنه نظير القمر الإله، والبياض هنا هو النور الإلهي، وهو رمز النقاء والصفاء والطهارة، ومادام يصفه بالبدر، فنوره نور البدر، يبدد الظلام، وفي هذا تقديس وتأليه.

وإن كان الأعشى قد جعل الملك بدرًا، في مكان ما، فقد جعله هلالاً في موضع آخر، فقال مادحاً الملك هودّة بن علي الحنفي⁽³⁾.

(1) الديوان، ص268.

(2) الديوان، ص199.

(3) الديوان ق(12) ص97، عجينة، محمد، موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، العربية للنشر والتوزيع،

ط1، 1994، ص200.

- المتقارب -

إلى ملك كهلال السماء أركى وفاءً ومجداً وخيراً

نرى هنا الشاعر قد جمع بين الصورة اللونية والصورة الحسية فالملك كالهلال في السماء، والهلال علامة الألوهية والملوكية التي كانت مودعة في السماء ونزلت إلى الأرض. وهو يطلق التشبيه على نواح نفسية لا مادية: الوفاء، المجد، الخير، وهي أيضاً - إضافة إلى اللون الأبيض الذي يرمز به إلى النور الإلهي والنقاء والطهر والسمو - صفات إلهية تجمع وجه الشبه بينها وبين الملك، وبين الهلال الإله، وكانت بعض العرب تجعل للهلال صنماً على شكل عجل بيده جوهرة يعبدونه، ويسجدون له، ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر⁽¹⁾.

وقد تكررت صورة تشبيه الملك بالقمر والكواكب في دواوين الشعراء ولكن القمر، يحظى بالنصيب الأوفر من هذه التشبيهات بمختلف أشكاله فكان القمر رمزاً للإله المعبود الذي يقوم الملك بدوره.

ومن الصورة التي تحمل أبعاداً ورموزاً دينية وأسطورية، قول النابغة الذبياني في مدحه أحد ملوك الغساسنة: (2).

-البسيط-

جربت أبيض يُستسقى الغمام به من آل جفنة في عزّ وفي كرم

فالشاعر أولاً يصف الملك بأنه أبيض، والبياض ضمن هذا السياق يمكن أن يحتمل أبعاداً تنزه الممدوح عن الدنس، ليحمل الطابع المقدس في نظر الشاعر، بل ربما يحمل أبعاداً ودلالات لها ارتباطات غير عادية في وعي الشاعر الذي يقف أمام إنسان يمنحه صفات بعيدة عن عالم الواقع، فالأبيض له قدسية نابغة من عبادة الشمس والزهرة، والزهرة تعود في تسميتها

(1) الأوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق: محمد بهجة الأثري، دار الكتاب بمصر، ط3، ص94.

(2) النابغة الذبياني، الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، 1977، ص 201.
وانظر: الحسين، قصي: انثروبولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، الأهلية للنشر، بيروت، ط2، 1993، ص337.

إلى الأزهر الذي يعني اللون الأبيض المشرق والمستنير⁽¹⁾، واختيار الشاعر للون الأبيض مرتبط بدلالات ميتولوجية، فاللون هنا لا يتوقف عند حدود دلالاته الخاصة، وإنما يمتزج أيضاً مع الأشياء التي تجاوره حتى يمنحها من وهجه وألقه. فاللون الأبيض ينسجم مع عبارة "يستسقى الغمام به" ليرسم صورة مثالية للملك ترتفع عن كل ما هو بشري.

ففي هذه الصورة نجد الكثير من الرموز الدينية والأسطورية فالملك هنا وفي قول الشاعر "يستسقى الغمام به" يشبه الإله "بعل" إله الأمطار في الأساطير القديمة، والبعل يمطر الناس بسخاء فتعمّ السعادة وتنتشر الحياة على الأرض. كما أن الشاعر يصف الملك بصفات معنوية كالعزّ وهي صفات مقدسة تعود للإله.

وهكذا فإن تشبيه الملك بالقمر أو الهلال أو البدر، هو شكل من أشكال التقديس التي يخلعها الذهن البدائي على صورة الملك. فالتشبيه ليس مقصوداً لذاته للتعبير عن رفعة الشأن أو وضاعة الوجه فقط، بل هو امتداد للنظرة الدينية الأسطورية⁽²⁾.

ولم يقتصر تشبيه الشعراء للملك على البدر أو الهلال أو الكواكب وإنما شبهوه بالشمس أيضاً حيث قال النابغة مادحاً النعمان:⁽³⁾

- الطويل -

فإنك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبذُ مِنْهُنَّ كوكبٌ

فالشاعر يصور الملك بالإشراق والبهاء من خلال وصفه بالشمس فهي، صورة تقريرية قامت على الحركة واللون، فقد بدا اللون الأبيض في كلمتين: الشمس والكواكب. وللون الأبيض إichاعات كثيرة. فهو رمز الطهارة والنقاء إلى جانب كونه - وكما قلنا - رمزاً للنور الإلهي. فالملك شمس تأخذ منه الملوك القوانين والتشريعات ليشبه الكواكب التي تأخذ ضوءها من الشمس. وقد عثر قديماً على نصوص تبين الملك حمورابي وهو يتسلم دستوره وشريعته قبل

(1) انظر: أبو عون، أمل، اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، ص14.

- الديك، إحسان، صدى عشتار في الشعر الجاهلي، ص161.

(2) البطل، علي: الصورة في الشعر العربي، ص183+184.

(3) الديوان ص25.

نحو عشرين قرناً قبل الميلاد من الإله الشمس⁽¹⁾، وقد تم ذكر الفعل (لم يبدُ) مقترناً بأداة الشرط والفعل (إذا طلعت) فبطلوع هذه الآلهة يشع النور ويزول الظلام. ومن يستحق العبادة غير هذا الإله الذي يعطي الحياة للأرض حين يخطر في رحلته اليومية!!!

ويكاد يلتقي مع هذا ما قاله الشاعر عنتره في مدحه الملك قيس بن زهير بن جذيمة العبسي⁽²⁾:

- الوافر -

من القوم الكرام وَهُمْ شُـمُوسٌ
ولكنْ لا تُوارى بالُدُجُونِ
فالملك يوصف بالشمس المنيرة في الإشراق، حيث لا يحجبها شيء فتبقى مشرقة أبداً بالخير والعطاء. وإذا كانت الشمس من آلهة العرب، فمن يشبه بها لا بُدَّ أن يكون مقدساً ومتميزاً عن غيره من الناس.

وفي هذا قول جلهمة بن العراف الكندي يرثي تبع صيفي بن شمر يرعش بن عمرو ناشر النعم⁽³⁾.

- البسيط -

قد كان شمساً على الآفاق مشرقة
وتأجُّه محكماً دراً وياقوتاً
فالشاعر يصف الملك بالشمس في البياض والإشراق مستمداً له صفات العلو والرفعة والبهاء التي تتصف بها الشمس إضافة إلى قداستها⁽⁴⁾.

وفي البعد الميثولوجي ألهمت الشمس عند العرب القدماء، وعبدت أماً وأساساً في ثالوث مقدس احتل مكانة دينية، واحتل القمر دور الأب. فقد عرف العرب عبادة الشمس قبل الميلاد،

(1) انظر: الحوت، محمود سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط1، 1955، ص92.

(2) الديوان ص 236

(3) ابن منبه، وهب: التيجان في ملوك حمير، ص272.

(4) عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، العربية للنشر والتوزيع، ط1، 1994، ص200.

وتشير النصوص الدينية إلى عبادة الشمس، وتذكرها باسمها إلى جانب الصفات الأخرى التي يكونون بها عنها، أو يسمون بها أصنامهم التي كانوا يرمزون بها إلى هذه الإلهة.

وتشبيه الملك بالشمس مع أنها إلهة أنثى عند العرب هو دليل على تداخل الديانتين الشمالية والجنوبية. فالشمس كانت تعد إلهاً ذكراً عند أكثر العرب الشماليين، بينما كانت إلهة تلقب بـ "السيدة" في جنوب الجزيرة العربية⁽¹⁾.

وقد شبه الملك بالشمس لاعتقاد الناس أنّ الملوك قادرون على إرسال ضوء الشمس لهم في الوقت المناسب. كما أنّ الشمس هي التي تمنح الخصب. إذ يؤدي خروجها إلى إنبات النباتات وانضاج ثماره!! فالذي يمنح الخصب لا يؤثر فيه جذب الأرض فهو مانح لا ممنوح. ثم أليس في خروج الشمس بعث للحياة من جديد!!! وفي هذا دليل على عظمة الملك وامتلاكه طاقات هائلة إضافة إلى قدسيته؟! لقد دلت النقوش التي وجدت في الجزيرة العربية على أنّ الشمس كانت معبودة عندهم يؤيد ذلك قول رب العزة: (ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر، واسجدوا لله الذي خلقهن، إن كنتم إياه تعبدون)⁽²⁾.

وما ورد من حديث سليمان مع الهدهد في قوله تعالى: (وجئتك من سبأ نبياً يقين، إنني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرشٌ عظيمٌ. وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم، فصَدَّهم عن السبيل فهم لا يهتدون)⁽³⁾.

كما يؤكد أحمد كمال زكي على وجود مكان مقدس في أرض همدان فوق جبل أنقار، فيه قلعة نقش على بابها الضخم دائرة الشمس، وأضيف إليها الهلال، فكان إذا خرج الملك المقدس ووقع نظره على صورة الشمس، انحنى أمامها على الفور⁽⁴⁾.

(1) انظر: علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 325/6.

- والخطيب، عماد علي سليم: الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي ص 264.

(2) سورة فصلت، آية 37.

(3) سورة النمل، آية 22-24.

(4) زكي، أحمد كمال: الأساطير، ص 77.

ومما يؤكد على قدسية الملك، ما قاله علقمة الفحل في مديح الملك الحارث بن جبلة

الغسانى: (1)

- الطويل -

ولست لإنسي ولكن لملاك تنزل من جو السماء يصبوب
فقد استطاع الشاعر ومن خلال استخدامه للألفاظ مثل "الملاك" "تنزل" و "السماء" تأكيد
قدسية الملك، فهو ليس بإنسان، ولكن ملاك تنزل من السماء، فهو قد أرسل من الإله ليكون
ممثلته على الأرض، كما أشارت المعتقدات القديمة. والجناس بين لفظي الملك والملاك، إشارة
إلى ما بينهما من صلة. فإذا كان الملاك مخلوق غير عادي، فقد كان العرب ينظرون إلى الملك
على أنه مخلوقاً غير عادي، فالملك لا يتشابه مع عامة الناس أو المخلوقات بل يكاد يرقى إلى
مرتبة الملاك.

ومن هنا فلم تكن صورة الملك هذه من قبيل الصدفة أو من باب الابتكار، فلطالما
استمدها الشعراء من الأسطورة القديمة، في عصر كان فيه الملك هو الأمر الناهي، وهو المانع
المانع، وهو المعز المذل، هو الذي يبسط كفيه ليجود بكل ما لديه من خير على أولئك المتحلقين
ببابه، المتعلقين بعينيه، ويديه، فهو بالنسبة لهم البحر، بحر الجود والسماح الذي لا يكل عن
المنح والعطاء. ولا يمكن أن يكون هناك من يماثله في ذلك، فما يقدمه الملك عطاء يشمل الكرم،
ويزيد عليه كثيراً، فهو الإله، يقول الأعشى مادحاً قيس بن معد يكرب(2):

- مجزوء الكامل -

إنا لدى ملك بشب قوة ما تغبب له النوافل
مُحَلَّب الكفين من ل البدر قوال وفاعل

(1) الديوان ص 83

(2) الديوان، ص 347.

فالملك هو الإله بعل، اله الأمطار في الأساطير الكنعانية، يبدو ذلك، في قوله متحلب الكفين، هذا الوصف الذي هو للمطر، وهي صورة قريبة من عشتار والمطر ينزل من بين يديها⁽¹⁾.

فالحلب نتيجته لا تكون إلا خيراً سواء أكان مطراً أم حليباً أم عطاءً، ولهذا ربطت اللغة بين در الحليب ودر المطر. والدليل على ذلك الإله صانع المطر الذي يرتد إلى البدر.

ولعل ربط الملك بالبدر يضفي عليه صفة التقديس، فهو يتمتع بمزايا لا طاقة للبشر بها. فقد استطاع الشاعر ومن خلال استخدامه عنصرى الحركة واللون أن يقرب المعنى ويؤكد، بل ويعكس نظرة أسطورية تمثلت في وجود ناقة في السماء يقوم الملك بحلبها لتدر الخير على الناس جميعاً، أو كما تخيل المصريون بوجود بقرة في السماء يحلبها الملك. وفي هذا تأكيد على هذه الألوهية والقدسية!

وفي الفكر الميثولوجي يسود الاعتقاد بوجود قوى سحرية عند الملوك، يقدرون على استدعاء المطر⁽²⁾. فعند مصب نهر الكونغو يسكن ملك المطر والعواصف الذي يتمتع بالقدرة على استئزال المطر في الوقت المناسب، ويسترضيه الناس بالأبقار والذرة، عساه يجعل ماء السماء المبارك ينهمر على المراعي. فإذا لم يسقط المطر من السماء تجمع الناس، وطلبوا من الملك أن يعطيهم المطر، فإذا استمرت السماء صافية بقروا بطنه التي يعتقدون أنه يحفظ فيها العواصف⁽³⁾.

وقد تكررت صورة الملك مانح المطر، ومانح الخير والعطايا، يقول بشر بن أبي خازم مادحاً الملك عمرو بن الحارث: ⁽⁴⁾

(1) الديك، إحسان: صدى عشتار في الشعر الجاهلي، ص175.

(2) الخطيب، عماد علي سليم: الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي، ص308.

(3) أبو سويلم، أنور: المطر في الشعر الجاهلي، ص86.

(4) الديوان، ص155.

- الكامل -

مَلِكٌ إِذَا نَزَلَ الْوُفُودُ بِيَابِهِ
غَرَقُوا غَوَارِبَ مُزْبِدٍ لَا يُنْزَفُ
مُنْحَلَّبُ الْكَفَّيْنِ غَيْرُ غُضْبَةٍ
جَزَلُ الْمَوَاهِبِ مُخْلَفٌ مَا يُتْلَفُ⁽¹⁾

فالملك هنا وفي هذه الأبيات يشبه إلى حد بعيد الإله "بعل" إله الأمطار، والبعل يمطر الناس بسخاء فتعم السعادة، وتنتشر الحياة في الأرض، بينما يسبب انحباس المطر الجفاف والهلاك.

فالمطر هو السبب في الخير والنماء، وكذا العطايا التي يمنحها الملك.

وفي الفكر القديم تظهر عشتار إلهة الخصب والحياة والمطر ينهمر من بين يديها⁽²⁾.

وفي هذا تقديس وتأليه للملك، ويؤكد ذلك قول علباء بن أرقم في النعمان بن المنذر⁽³⁾.

- الطويل -

وَإِنَّ يَدَ النِّعْمَانِ لَيْسَتْ بِكَزَّةٍ
وَلَكِنْ سَمَاءٌ تُمَطِّرُ الْوَبْلَ وَالذَّيْمَ
وهذا يقترب من الصورة التي تصورها الفراعنة للسماء، فهي "امرأة منحنية فوق الأرض، يتحلب المطر من ثدييها، وتصوروا أيضاً السماء بقرة هائلة ولدت الشمس، فكان لها ضرع كبير يحلب مطرا"⁽⁴⁾.

كما وصف الملك بالبحر، يظهر ذلك في قول بشر بن أبي خازم الأسدي في مدح عمرو

ابن الحارث بن حجر: ⁽⁵⁾

(1) غُضْبِهِ: العيوس الذي يغضب سريعاً.

(2) الديك، إحسان: صدى عشتار في الشعر الجاهلي، ص175.

(3) الأَصْمَعِيَّاتُ ق (55) ص159.

(4) الخطيب، عماد علي سليم: الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي، دراسة تحليلية نقدية، ص308.

(5) الديوان، ص38.

- الرجز -

بَحْرٌ، يَفِيضُ لِمَنْ أَنَاخَ بِبَابِهِ مِنْ سَائِلٍ، وَثِمَالِ كُلِّ مُعَصَّبٍ (1)

فالملك هو البحر، البحر الذي لا يبخل على من يقف ببابه سائلاً، وليس عجباً أو صدفه أن يكون هذا التشبيه مرتبطاً بالبحر، ففي البحر ماء وحياة، والملك نفسه هو الحياة، فيه وبعطائه وبكرمه يمنح الحياة، والاستمرار للكثير من الناس، الذين يعتاشون على عطايه، فمن يمتلك الحياة هو الإله.

كما ونجد صورة الملك المشرق والمتهلل دائماً، المستبشر بعطائه المتواصل، وهي صورة تؤكد سموه وصلته بالآلهة التي لا تعرف إلا الإشراق والنور.

يقول النابغة يمدح النعمان بن المنذر: (2)

- الطويل -

وأنت ربيعٌ ينعشُ النَّاسَ سِيبُهُ وسيفٌ أعيرته المنية قاطع

هذه الصورة تختزن موروثاً اسطورياً كبيراً من خلال ربط الملك بالخصب، وربطه بالربيع بالذات، وهو ما ارتبط به الملك الذي كان مسؤولاً عن بعث الخصب. فصفة الربيع تعيدنا إلى الإله بعل، والإله تموز، فيعل هو إله الأمطار الذي ينزوله يعيد الحياة إلى الأرض بعد موتها. ومن جهة أخرى، فالربيع الذي ينعش الناس يعيدنا إلى الإله تموز، الذي يعني اختفاؤه الدمار، والهلاك، والفناء، وعودته تعني الحياة، والخضرة.

فحضور الملك كحضور تموز، حضور الملك ربيع، وهلاكه موت للربيع. وهذا ما كان يدعو الملك للقيام بطقوس الزواج الإلهي المقدس والذي كان يهدف من ورائه بعث الخصب والحياة من خلال هذا الزواج. ومن هنا كانت بعض الشعوب تقوم بقتل الملك قبل هرمه، خوفاً

(1) الديوان، ص 38.

(2) الديوان، ص 127.

على قوة الخصب فيه، حتّى تبقى متجددة من جهة، ولأنّ هرمة يعني انتهاء الخصب وهلاكه من جهة أخرى وهذا هو ما دعا النابغة الذبياني إلى القول مادحاً النعمان بن المنذر: (1)

- الوافر -

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحرامُ
فغياب الملك هو غياب تموز، فالشاعر يشبه الملك الذي ينعش النَّاسُ بالربيع، وبالشهر الحرام⁽²⁾ الذي يؤدي إلى الأمن والأمان، وهو هنا يعيدنا إلى الإله تموز، إله الخصب والنماء. فوجوده هو الحياة والخصب، وموته ذهاب الخصب والكلأ، والأمن والأمان، تلك الأمور التي تحدث بغياب الإله تموز، أليس في هذا قدسية؟!!

والملك يمتلك الحياة والموت، يقول النابغة مادحاً الملك عمرو بن الحارث الغساني: (3)

- الطويل -

تحين بكفيه المنايا وتارة تسحان سحاً من عطاء ونائل
فالملك إله يرسل الموت، والغيث معا.
ويبرز الفكر الأسطوري الميثولوجي في تصوير الشاعر للملك، بأنه أجود من نهر الفرات، في تشبيه دائري، فهو يرتفع بالملك من حالة بشرية إلى حالة أسطورية، يقول الشاعر النابغة في مدح الملك النعمان بن المنذر⁽⁴⁾:

- البسيط -

فما الفراتُ، إذا هبَّ الرِّياحُ له، ترمي أواذيه العيرين بالزبد⁽⁵⁾
يمدّه كلُّ وادٍ مُترعٍ، لجبٍ، فيه ركامٌ من الينبوتِ والخصد⁽⁶⁾
يظلُّ، من خوفه، الملاحُ معتصماً بالخيزرانة، بعد الأين والنجد⁽¹⁾
يوماً، بأجودَ منه سائبَ نافلةٍ، ولا يحولُ عطاءُ اليومِ دون غدٍ

(1) الديوان، ص169.

(2) الصانع، عبد الإله: الزمن عند الشعراء قبل الإسلام، ص182.

(3) الديوان، ص156.

(4) الديوان، ص58.

(5) أواذيه: مفردها آذي: الموج، العبرين: الشاطئين.

(6) مترع: ملآن، لجب: ذو ضوضاء، صاخب. الركام: الأشياء المتراكم بعضها فوق بعض. الحصد: ما خصد وتكسر.

(1) معتصماً: متمسكاً. الخيزرانة: مؤخرة السفينة، الدقه. الأين: التعب والإعياء. النجد: العرق.

وفي هذا يقول الأعشى مادحاً قيس بن معد يكرب⁽¹⁾:

- المتقارب -

وَمَا مَزِيدٌ مِنْ خَلِيحِ الْفِرَا تَجَاوَزَ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمُ⁽²⁾
يَكُوبُ الْخَلِيَّةَ ذَاتَ الْقِيْلَا عَقَدَ كَادَ جُؤْجُؤُهَا يَنْحَطِمُ⁽³⁾
تَكَأكَأً مَلَّحُهَا وَسَطَهَا مِنْ الْخَوْفِ كَوَثَلَهَا يَلْتَزِمُ⁽⁴⁾
بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ إِذَا مَا سَمَاؤُهُمْ لَمْ تَغْمُ⁽⁵⁾

كما نلاحظ في الشعر الجاهلي ارتباط صورة الملك بصورة الثور، نظير القمر الإله،

يظهر ذلك في قول جلييلة بنت مرة في رثاء زوجها الملك كليب وائل إذ تقول: ⁽⁶⁾

- البسيط -

قد كان تاجاً عليهم في محافلهم وكان ليثاً وغياً للقرن طرّاحا
فعل صورة الملك، وهو يواجه الأعداء تشبه إلى حد كبير الثور الوحشي عندما تهاجمه
الكلاب، فيخرج منتصراً عليها، فجاءت صورة الملك تناظر صورة الثور الوحشي نظير القمر
الإله. فللقمرنين علاقة بالهلال. فقد عقد القدماء علاقة بين القمر في طور الهلال وبين القرنين،
فقدّسوا ذوات القرون كلّها، واتخذوها رمزاً له، لعلاقة الخصب التي تجمع بينهما، كما كانت
القرون تاج الألوهية أو الملك، زينت المعابد والقصور وتمائيل الآلهة القديمة ورمزت للخصب
والنماء⁽¹⁾.

وفي هذا المعنى يقول النابغة مادحاً النعمان بن المنذر: ⁽²⁾

-
- (1) الديوان، ص39.
 - (2) جون: أبيض وهو من الأضداد ويطلقه العرب على الأبيض والأسود - غارب كل شيء: أعلاه والمقصود به الأمواج.
 - (3) الخلية: السفينة الكبيرة. القلاع: الشراع. جؤجؤها: صدرها.
 - (4) تكأكأ: تمايل من الخوف. ذنب السفينة ومؤخرها، وفيه يكون الملاحون ومتاعهم.
 - (5) الديوان، ص39. ماعونه: الماعون في الجاهلية كل عطاء. (اللسان-معن)
 - (6) يموت: بشير: شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام، ص54.
 - (1) الديك، إحسان: الوعل صدى تموز، ص4.
 - (2) الديوان ص112.

- البسيط -

مُتَوَجِّحٌ بِالْمَعَالِي فَوْقَ مَفْرَقِهِ وَفِي الْوَعْيِ ضَيِّغٌ فِي صُورَةِ الْقَمْرِ
حيث يكشف البيت السابق عن أبعاد صورة الملك الإله "ود" نظير الثور الوحشي،
وقرين القمر المعبود. فالصورة التي يرسمها الشاعر للملك وهو يصف شجاعته ومقدرته شبيهه
كل الشبه بصورة الثور الوحشي الذي يعالج خصومه من كلاب الصيد وينتصر عليها.

كما أنّ تصوّره بالقمر يحمل صفة الألوهية، فالقمر يحمل عدة دلالات فهو أولاً يجمع
بين الشدة والرقّة، وعطاؤه يصل إلى جميع الناس، كما أنّ القمر يدل على الاكتمال والامتلاء.
والاكتمال شيء يرتفع عمّا هو بشري.

وتتكرر صورة تشبيه الملك بالإله "ود" المحارب، قرين القمر المعبود، عند العديد من
الشعراء، ومنهم الأعشى، الذي خلع على الملك صورة الإله "ود" المحارب، عندما صور سطوته
وشجاعته الخارقة في المعارك، ومواجهة الأعداء. إنّهُ الملك البالغ الشجاعه، والبطولة، كَرَبَّ
الحرب، وهو الملك الكريم، البالغ الجود، كَرَبَّ الخير، وهاتان الصفتان هما من الصفات
الإلهية⁽¹⁾ حيث يقول مادحاً الملك إياس بن قبيصة الطائي⁽²⁾:

- الوافر -

أخو النَّجْدَاتِ، لَا يَكْبُؤُ لَضُرِّ وَلَا مَرْحٍ إِذَا مَا الْخَيْرُ دَامَا
ويقول في مدح قيس بن معد يكرب: (1)

- المتقارب -

أخو الْحَرْبِ، إِذْ لَقِحَتْ بَازِلًا سَمَا لِلْعَلَى وَأَحَلَّ الْجِمَارَا

ويقول علقمة الفحل في مدح الحارث بن جبلة بن أبي شمر الغساني: (2)

(1) الحسين، قصي: انترولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، الأهلية للنشر والتوزيع - بيروت، ط2،
1993، ص279+218.

(2) الديوان ق29 ص199..

(1) الديوان، ص49.

- الطويل -

فَجَالَدَتْهُمُ حَتَّى اتَّقَوْكَ بِكِبْشِهِمْ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ غُرُوبُ
فصورة الملك ترتبط بصورة الثور الوحشي، نظير القمر الإله، الذي يخرج منتصراً
على أعدائه، مما يضفي على صورة الملك⁽²⁾ صفة القداسة.

ومن الصور التي تحمل أبعاداً أسطورية وميثولوجية ما قالته أسماء بنت ربيعة التغلبية
في رثاء الملك كليب⁽³⁾:

- الرمل -

طَوْدَ عِزٍّ وَهُمَاماً فِي الْوَعَى يَمْنَعُ الْأَقْرَانَ وَسَطَّ الْقَسْطُ طَلَّ
فقد استطاعت الشاعرة تشخيص الجبل لتجعله إنساناً ليشبهه به الملك، فاستحضرت ما
كان للجبل من خصوصية في أذهانهم وعلاقته بالشموخ والعلو والارتفاع والسيادة والخلود، بل
والتمتع والسمود أمام العوارض المختلفة، فجاء التشبيه انعكاساً للتصور القديم. ففي الفكر القديم
اعتبر الجبل مسكناً للآلهة، تلك الآلهة التي كانت مسؤولة عن تنظيم الكون، وتسيير حياة
الناس⁽⁴⁾. وفي هذا ما يؤكد قداسة الملك وألوهيته.

كما أننا نجد أنّ الملك هنا هو نظير الثور الوحشي، نظير القمر الإله، الذي يخرج في
معركته مع كلاب الصيد، وبالإضافة إلى البعد الديني هنا نلمس أيضاً بُعداً نفسياً وهو شدة البأس
والقوة.

ولم تكن هذه الصفات حكراً على الملك في حياته فقط، ولكننا نجد الصورة نفسها عند
مصرع الملك الإله، يعبر عن ذلك قول عنترَةَ راثياً الملك زهير بن جذيمة العبسي: ⁽¹⁾

- الخفيف -

خُسِفَ الْبَدْرُ حِينَ كَانَ تَمَاماً وَخَفَى نُورُهُ فَعَادَ ظِلَاماً

(1) الديوان ص29.

(2) الحسين، قصي: انثروبولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، ص280.

(3) الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، 2001، أسماء بنت ربيعة.

(4) صالح، محمود سمارة محمد: الجبل في الشعر الجاهلي، ص20.

(1) الديوان، ص279+280.

ودراري النجوم غارت وغابت
وضياء الأفاق صار قَتَامَا
حين قالوا: زهيرٌ وليّ قتيلاً
خيّم الحزنُ عندنا وأقامَا

فزهير هو الإله القمر يبدو ذلك جلياً حين قرنه الشاعر بخسوف القمر وغياب النجوم واختفائها، وكأن هذا الخسوف الذي حدث للقمر بموت الملك، هو تعبير عن غضب الآلهة عند موت الملك. ويؤيد ذلك ما قاله النعيمي من "أنّ حوادث الخسوف والكسوف وغيرها من الظواهر هي رد فعل لغضب الآلهة على مصرع كل ذي شأن"⁽¹⁾.

ونجد الصورة نفسها يكررها المهلهل في رثاء أخيه كليب فيقول⁽²⁾:

- الكامل -

لَمَّا نَعَى النَّاعِي كَلِيْبًا أَظْلَمَتْ
شَمْسُ النَّهَارِ فَمَا تَرِيدُ طُلُوعَا

وهذه صورة لونية توافقت مع الصورة الحركية لتشييع جواً من الحزن، ونرى أيضاً تبادل المشاعر بين البشر والطبيعة للتعبير عن هذا الحزن، وهذا لا يكون إلا لمن يمتاز بمكانة عن مكانة البشر، وهو الإله. فنلاحظ هنا أنّ كليباً هو الإله "القمر". وإلا لماذا غابت الشمس!!؟ أليست لغياب شخص ذي شأن؟

إنّ الملك الذي تحزن عليه الحياة جميعها، بل وتعلن الحداد، لا بُدَّ أن يكون إلهاً يمتلك الحياة كما يمتلك الموت ولا بُدَّ أن يكون شفاءً للآخرين وحياة لهم. شخص كهذا هو من قال فيه المتقّب العبدى: ⁽¹⁾

- الرمل -

بِأَجْرِي الدَّمِّ، مُرُّ طَعْمُهُ
يُبْرِيءُ الكَلْبَ، إِذَا عَضَّ وَهَرَّ

فالشاعر هنا ومن خلال جمعه بين الصورة البصرية واللونية والذوقية ليؤكد قداسة دم الملك. ففي استخدام الشاعر للون الأحمر دليل على المكانة العالية. فاللون الأحمر جاء ليوحي

(1) النعيمي، إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ص134.

وانظر: عويضات، نايف حمدان: صورة البطل في شعر عنترة، ص142+143.

(2) الديوان ص 50.

(1) الديوان ص38.

بمعنى التضحية التي يتحقق بها الأمل الكبير للإنسان وهو الخلود⁽¹⁾. أمّا قوله مرّ طعمه، فهو للدلالة على أنه دم صعب غير مباح. وفي جعله شفاء لمرض الكلب تقديس وألوهية للملك، فلولا هذه القدسية لما جعله شفاء للأمراض.

ويؤكد ذلك ما كان يتم في مصر القديمة حيث يسمح للملك بالزواج من أخته أو ابنته وذلك للاحتفاظ بالدم الملكي خالصاً نقياً من الشوائب⁽²⁾.

ويؤكد ذلك محمد توفيق أبو علي فيقول: "فاحترام الدم الملكي كان عادة يخالفها بُعد ميثولوجي، فحتّى في أوج الغضب، وذروة احتدام الصراع بين الملوك، كان ثمة عرف عندهم بعدم التفريط بقطرة دم واحدة من دم الملك، إذا قبض عليه خارج المعركة"⁽³⁾.

كل هذا التعظيم جعل الملوك يرون أنفسهم أعلى منزلة من العامة فجذيمة الأبرش كان يقول: "أنا أعظم من أن أنادم إلا الفرقدين"⁽⁴⁾.

البعد النفسي

الشعر من الشعور، والشعر خالدٌ بمقدار ما يستطيع أن يعبر عن حقائق الكون في قوالب وصور جميلة. ولا يكون الشاعر شاعراً إلا إذا عبّر عن حالة نفسية فردية كانت أم جماعية. فالشاعر وفي تجاربه الشعرية وفيما تجود به قريحته من فن القصيد يصدر عن أبعاد نفسية.

وعندما أتناول صورة الملك في البعد النفسي فإنني أقصد كيف كان يرى الشعراء الملك من وجهة نظرهم، ومن هو اجسهم الداخلي، وكيف كانوا هم يشعرون به، وماذا كان يجسد الملك في نفسية هؤلاء الشعراء، وفي حالاتهم الروحانية وحسب أمزجتهم.

(1) أبو عون، أمل: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، 2003، ص 94.

(2) موسوعة غرائب المعتقدات والعادات، عادات ومعتقدات في العصور القديمة، ج 1، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، 1995، ص 44.

(3) أبو علي، محمد توفيق: صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية، شركة المطبوعات، ط2، 2000، ص 134.

(4) ابن قتيبة: عيون الأخبار 1/274.

فإذا كان هناك من رأى في الملك، الأمن، والأمان، والراحة، والخير، والربيع، فإنّ هناك أيضاً من رأى فيه الرّهبة والغضب، والسّطوة. بينما وجد فيه آخرون المثال، والقُدوة والأُنموذج.

فصورة غضب الملوك والخوف من بطشهم لهذا السبب أو ذاك صورة مؤلمة حساسة، فغضبهم يبقى نفوس الملوك في اضطراب وثررة، يفكرون ويخططون، ويبقى الرعية في حيرة وخوف وترقب واضطراب. فعضب الملوك ليس كأى غضب، وعقابهم ليس كأى عقاب. وهاهو النّابغة يعكس كل هذه الأحاسيس والمشاعر في شعر يعتذر فيه للنعمان بن المنذر فيقول: (1)

- الطويل -

وعيدُ أبي قابوس، في غير كُنْهِه	أثاني، ودوني راكسٌ فالضّواجِعُ
فبتُّ كأني ساورتني ضئيلة	من الرُقش، في أنيابها السم ناقع
يُسَهِّدُ من ليل التمام، سليمها	لحلي النساء، في يديه، قعاقع
تتاذرها الرّاقون من سوء سُمّها	تُطلقهُ طوراً وطوراً تراجع

فالشاعر يشبه حالة أرقه وقلقه وخوفه من النعمان، بحال المدوغ من أفعى كبرت سنّاً وازدادت ضراوة وصار سمّها ناقعاً لا يبرأ منه عليل، بل لقد دب في جسده سمّها وجيء به وقد وضعت في يديه حلي النساء يحركونها لئلا ينام فيدب السم فيه. وهو إذ يشبه وعيده بالحية يريد خلع ما فيها من صفات تثير القلق والخوف وعدم الراحة. مما يثير الرعب والخوف من هذا الوعيد. إضافة إلى الحذر من فتك هؤلاء الملوك.

فبغضب النعمان ووعيده بات الشاعر لا يعرف النوم، كيف لا والنعمان ذو القوة القادر عليه. فسطوة النعمان جعلته يبيت مضطرباً قلقاً، وهو في هذا يعاني ألماً نفسياً، وخوفاً من موت يترقبه في كل لحظة.

فالصورة الصوتية وظّفت من صوتيات العالم الباطن للشعر، فقد استطاع الشاعر ومن خلال استخدامه عنصر الحركة في قوله قعاقع، واللون للحية أن يعبر عن الخوف والقلق، فصوت القعاقع هو جرس الإنذار الذي ينبه الشاعر، ويجعله في حالة تيقظ مستمر، واجتماع

(1) الديوان، ص122+123.

اللون الأبيض مع الأسود وهو لون الحية، يمثل قوة هائلة لأنهما يمثلان التكامل في الأرض⁽¹⁾، وقد أراد الشاعر بهذا الوصف إظهار قوة النعمان وبطشه وشموخه.

فبطش النعمان يختصر المسافات بين الملك والشاعر فيدركه أينما كان. والشاعر هنا أيضاً يربط بين المكان والزمان، فالمكان لم يعد مستقراً، والوقت يمر عليه متتاقلاً كئيباً، لأن وعيد أبي قابوس الذي أتاه ألقاه.

ولعل الرهبة والخوف من تهديد الملوك هو ما أثار في نفس النابغة الرغبة العارمة في الاعتذار للنعمان، تحاشياً لغضبه، وانتقامه، حيث يقول معتذراً له: (2)

- الطويل -

فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكِي، وإن خُلتُ أنَّ المُنتأَى عنك واسعُ
فالمك كالليل، الليل مخيف ذو جبروت لا يستطيع الإنسان أن يصمد أمامه، مهما حاول الهرب منه، فالليل يمثل الرهبة، ويمثل ذلك الشيء الذي لا ينتهي، ولا ينجو منه شيء، وكذلك الملك فهو محيط بكل شيء، وسلطانه يستطيع الوصول إليه أينما ذهب.

وفي إتيان الشاعر بصورة الليل، وفي استخدامه لكلمة الليل. بما فيها من سواد قاتم يوقع صاحبه في المصائب والمحن، ليعبر عن عدم الاستقرار والرهبة وعدم الاطمئنان. ففي السواد ظلم وقهر، وفيه العتمة والقلق وعدم الراحة.

وفي عبارة "هو مدركي". ما يوحي بالحالة النفسية التي كان يعانيها الشاعر، تحت وطأة خوفه من الملك، وهذا يعكس الانفعال العميق الذي يشعر به الشاعر، فهذه اللوحة قد جمعت بين

(1) أبو عون، أمل: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، 2003، ص39.

وانظر: الزواوي، خالد محمد: الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، الشركة المصرية العالمية للنشر،. لونغمان، ط1، 1992، ص165+166.

(2) الديوان ص127.

الحركة، وهو الإدراك، واللون، لون الليل، ليعبر عن الحالة النفسية، وهي الرهبة من الملك وقدرته وجبروته. ويقول في موضع آخر: (1)

- الطويل -

أتاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع

لوحة جمعت بين الصورة الحركية والسمعية، فالشاعر يعكس الأثر الذي يسببه هذا الوعيد من خوف وقلق واضطراب وعدم اطمئنان. ولم يكتف بذلك، وإنما تعداه إلى تصوير الأثر الجسدي الذي ألحقه به هذا الوعيد، فمسامعه أصابها الاستكاك، وهو الانسداد، فأصبح غير قادر على سماع أي صوت، أو أي شيء بعد الوعيد، ولم يكن هذا الأثر أنياً، وإنما بقي مستمراً، يدل على ذلك قوله تستك في صورة المضارع. صورة عكست مشاعر الخوف والحذر، وهو اجس النفس.

كما يعكس الشعر الجاهلي نظرة الجاهليين بشكل عام إلى الملك، وخوفهم منه، ولا سيما عند الاعتداء على حماه، ويصورون القرب من حماه أو الرعي فيه بمن يأتي بأمر عظيم.

يقول الراعي الهمداني: (2)

- المتقارب -

رَعَيْتُ حَمَى الْمَلِكِ الْمُتَّقَى فَرُمْتُ بِذَلِكَ أَمْرًا كَبِيرًا

صورة تعكس ما في داخله من الرعب والفرع جرّاء ذلك، كما توحى بالألم والندم على ما فعله من الاقتراب من حمى الملك.

وها هو حاتم الطائي يجمع بين حالتين نفسيّتين متناقضتين حين يستشفح لأسرى قومه

- المتقارب -

عند الغساسنة فيقول: (1)

(1) الديوان ص123.

(2) الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، 2001.

(1) الديوان، ص60.

أَبَى طَوَّلُ لَيْلِكَ إِلَّا سُهُودًا فَمَا إِنْ تَبَيَّنَ لَصُبْحِ عَمُودًا
 أَبَيْتُ كَنَيْبًا أُرَاعِي النُّجُومَ وَأَوْجَعُ مِنْ سَاعِدِي الْحَدِيدَا
 أُرَجِّي فَوَاضِلَ ذِي بَهْجَةٍ مِنْ النَّاسِ يَجْمَعُ حَزْمًا وَجُودًا

والصورة عند حاتم الطائي تعكس مشاعر الخوف والحذر وهو اجسه النفسية التي علقها على الليل، فالليل طويل لا يظهر له صبح. وهذا من شدة القلق والاضطراب والحيرة التي يعيشها، فقومه قد وقعوا أسرى عند ملك الغساسنة، كما نلمح في الأبيات ما يزيد خطورة الموقف، إذ لا يكتفي الشاعر بالصورة السمعية، بل يعتمد لاستخدام الألوان المثيرة للرعب والفرع. وهو لون الليل ليعبر عن خوفه وقلقه واضطرابه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهو ما يزال يرجو ويأمل خيراً، ويشعر بقرب الأمل، والخير في إطلاق أسرى قومه.

والزهو والإعجاب يملآن نفس الشاعر بصورة هذا الملك الذي يملك الكون كله. فمن بأس الملك يستمد بأسه، وفي ظله يعيش، وامتلاك الملك للدنيا، امتلاك للشاعر لها. وقد تجسد ذلك في قول الشاعر الحارث بن حلزة اليشكري مادحاً المنذر بن ماء السماء. (1)

- الخفيف -

فَمَلَكْنَا بِذَلِكَ النَّاسَ إِذْ مَا مَلَكَ الْمَنْذَرُ بِنَ مَاءِ السَّمَاءِ
 فالشاعر قد جعل الدنيا شيئاً يمتلك، والامتلاك شعور بالفرح، والاعتزاز، والفخر بالمكانة العالية. مما يحدو بالمرء إلى الشعور بالزهو والغرور أحياناً.

وتبقى مشاعر الفخر والزهو والإعجاب تسيطر على الشاعر الجاهلي، نتيجة قربيه من الملك، وبخاصة لما يمتاز به هذا القرب من مكانة ومنزلة، وهذا ما قاد حسّان بن ثابت للافتخار بصلته بالملوك حيث يقول: (1)

- الطويل -

مَلُوكٌ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ كَأَنَّا سَوَارِي نَجُومِ طَالِعَاتٍ بِمَشْرِقِ

(1) الديوان، ص 68.

(1) الديوان، ص 230.

وليس أدل على الفخر من تشبيه الشاعر الملوك ونفسه بالنجوم الطالعَات في المشرق،
وقت الصباح الباكر، فهي جلية واضحة لامعة، وهي صورة جمعت بين الحركة واللون لتعبر
عن مشاعر الفخر.

وفي مقابل هذه الصورة يمكن أن نلمح صورة الاضطراب والقلق والحيرة التي يمكن أن
تشعلها غيبة الملك، فبيبت الناس قلقين، مضطربين، خائفين، حتى المرأة الحصان، تفرعها غيبة
الملك وهي بجوار زوجها، هذا الزوج الذي هو مستقرها وسكنها وطمأنينتها، فالملك ملك
مشاعر الناس وأحاسيسهم، وقد صور ذلك النابغة في مدحه النعمان فقال: (1)

- الطويل -

وَيُلْقَ إِلَى جَنبِ الْفَنَاءِ قُطُوعُهَا	وَإِنْ يَهْلِكَ النِّعْمَانُ تُعَرَّ مَطِيَّةٌ
تَقْضُقُضُ مِنْهَا أَوْ تَكَادُ ضُلُوعُهَا	وَتَنْحَطُّ حِصَانٌ، آخِرَ اللَّيْلِ، نَحْطَةً
وَإِنْ كَانَ فِي جَنبِ الْفَتَاةِ ضَجْبِعُهَا	عَلَى إِثْرِ خَيْرِ النَّاسِ، إِنْ كَانَ هَالِكًا

وتعكس الصورة عند النابغة، بما اشتملت عليه من حركة ولون، مشاعر الخوف
والحذر، وهو جس النفس من غيبة الملك، فالملك هو الحياة، وموته توقف دولاب الحياة، فلم يعد
هناك حاجة للمطايا فتلقى رحالها في الأرض، وتبقى شاهدة على ما أصاب الناس، فكما رآها
أحد تجددت الفجيرة وتدفق نهر الحزن، فالملك هو السعادة والاستقرار للحياة، وموته هو
الاضطراب والقلق، حتى لامرأة تنام بجوار زوجها في سكن وطمأنينة، فهذه المرأة تتأوه ألاماً
كلما تذكرت النعمان، ومآثره التي غيبها الموت، فيفزعها هذا التذكر إذ لم يعد هناك من يحميها،
فقد جعل العظام تستك، ويسمع صوتها من شدة الخوف، وما سببه له من القلق والاضطراب،
وذلك إذا ما أشرف الليل على الانتهاء، فهذا الوقت وقت الخوف والحرب ووقت الغارات. إنه
الموت يقف على بابها في هذه الساعة، وحشاً يريد أن ينقص عليها، وليس هناك النعمان
ليحميها، ففي فقدته الألم والتأوه، وفي حركة الضلوع صوت وحركة، تزيدان الموقف رهبة وقوة.

(1) الديوان، ص 129 وما بعدها.

وتبقى مشاعر القلق تسيطر على الشاعر الجاهلي تجاه غياب الملك، حيث تبدو حالة الشاعر النفسية القلقة المضطربة تلك الحالة التي عبر عنها امرؤ القيس عندما جاءه خبر مقتل أبيه، حيث قال: (1)

- المتقارب -

أتاني حديث فكذبته بأمر تزعزع فيه القُلُّ
بقتل بني أسد ربهم ألا كل شيء سواه جَلُّ

فقد تزعزت الجبال وتحركت من مكانها بعد أن سمعت الخبر، مما يؤكد هول الصدمة، ووقع تأثيرها على الشاعر، وقد استطاع عنصر الحركة في الصورة عكس الحالة التي بدا عليها الشاعر، من خوف واضطراب. إذ إن مقتل والده سيؤدي إلى تغيير في حياته، ولذلك بدا متأثراً، ولتأكيد ذلك جعل الجبال تتحرك، فالموقف النفسي كان وراء المشاهد التصويرية. فكانت كل كلمة تترجم وضعا نفسياً، ففي قوله "تزعزع منه القل" و "ألا كل شيء سواه جل" ما يدل على عمق الخطب الذي ألم به، وما ذلك إلا لتدعيم صورته وتوضيحها وإبرازها.

وتتضح مشاعر الخوف والرغبة من موت الملك في قول جلييلة بنت مرة ترثي الملك الزوج فتقول: (2)

- الرمل -

يا قتيلاً قوِّض الدهرُ به سَقَفَ بَيْتِيَّ مِنْ عِلِّ

فقد استطاعت الشاعرة ومن خلال الألفاظ، أن تعبر عن الحزن والأسى، بصورة نابغة من الوجدان وصادقة في عمقها، تعكس مشاعر الألم والخوف، والهواجس النفسية التي تعتمل بداخلها.

فالملك هو الكون الذي تحيا به، وهو الأمل الرحب الذي تطوف به، والملك هو عزها وسؤدها به ترتفع. وإذا بالموت يحطم كل آمالها فموته موتها، وموت لأحلامها وتصدع لبيتها

(1) الديوان، ص261.

(2) يموت، بشير: شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام، ص52.

جاد المولى، محمد أحمد: العرب في الجاهلية، ص149.

بل وانتهيار له. فهي قلقة مضطربة حائرة يعتربها الخوف والأسى، يعتربها الحزن، ويعتصرها الألم. وكأنني بها تطوف تبحث في كل ركن من أركان بيتها عن هذا الزوج. فتعود خائبة تملأ الحسرة نفسها، وماذا بعد الحسرة؟! أليس الحزن والأسى والخوف والاضطراب في بحر هائج هو بحر الحياة؟! فقولها "قوَض الدهر" عبارة تموج بالأسى والحسرة. وتضطرم فيها النار، نشعرنا كم فيها من حركة، وكم فيها من لون باهت صار لون حياتها. وهذه أسماء بنت ربيعة التغلبية تقول في الملك كليب مصورة ما حل بها بعد قتله: (1)

- الرمل -

يا قتيلاً قتلتُهُ جرّعتني عند فقديه نفع الحنظل
صرت في لجة بحر زاجرٍ صاعداً طوراً وطوراً ينزلِ

تجمع أسماء بين الصورة الحركية والذوقية بقولها واصفة أثر فقد كليب "جرّعتني فقده نفع الحنظل"، و "لجة بحر زاجر"، وما ذلك إلا لتؤكد حقيقة حزنها، وألمها لفقده. فموت كليب جعلها في حزن دائم لا ينقطع، وما ذلك التشبيه إلا ليكشف عما تعانیه من ألم وحزن وفجعة. مظهراً لنا الخطر الذي أصبح يحيط بها بعد مقتله.

وها هو عنتره وقد أسرته صورة الملك واستقرت في نفسه، يتبرأ من جفونه، ويحرم عليها الكرى إن لم تجد بالدمع حزناً على الملك. هذا الحزن الذي جعله في حركة دائمة وثورة واضطراب، يقول راثياً الملك زهيراً العبسي: (2)

- الخفيف -

يا جفوني إن لم تجودي بدمعٍ لجعلت الكرى عليك حراماً
فالشاعر عنتره، ومن خلال تشخيصه العينين، وجعلهما إنساناً يخاطبهما، ويهددهما، ويطلب منهما البكاء وإلا حرم عليهما النوم - استطاع أن يعكس الأثر النفسي لموت الملك، من قلق، وخوف، وعدم استقرار، وحسرة، وحزن، وبكاء مستمر.

(1) الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، 2001.

(2) الديوان، ص 280.

كل هذه الحسرة وكل هذا الحزن على موت الملك وما أثاره في نفس الشاعر من بكاء وتحريم للنوم على عينيه إن لم تجد بالدموع، إلا أن ذلك لم يمنعه من استخلاص العبرة من موت الملوك. ومن هنا كان الشاعر الجاهلي شديد الإحساس بفكرة الحياة والموت، وقد أدرك أن الملك - والذي كان الرمز الأكبر للخلود، لأنه يمتلك القوة والعتاد والحصون-، لا يقف أمام الموت، فالموت سيأتي على كل شيء. فها هو الملك يموت ويغيبه الثرى. لذلك اتكأ الإنسان الجاهلي على هذه العبر ليخلق نوعاً من التوازن الداخلي، أو الهدوء، أو الرضا، فبات يقنع نفسه بأن الموت هو نهاية طبيعية لكل ملك، مما أثار في نفسه، في كثير من الأحيان، شعوراً بالزهد، وحالة من اليأس، والإحباط، والتشاؤم، يعبر عن ذلك قول الأسود بن يعفر النهشلي. (1)

- الكامل -

تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ، وَبَعَدَ إِيَادِ
وَالْقَصْرَ ذِي الشُّرْفَاتِ مِنْ سَنَدَادِ
مَاءِ الْفُرَاتِ يَجِيءُ مِنْ أَطْوَادِ
فَكَأَنَّمَا كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ

مَاذَا أَوْمَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرَّقِ
أَهْلَ الْخَوْرَثِقِ وَالسَّدِيرِ وَبَارِقِ
نَزَلُوا بِأَنْفَرَةٍ يَسِيلُ عَلَيْهِمْ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ
فَأَرَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهِى بِهِ

- الكامل -

ويقول تبع أبو كرب (2):

تَرْجُو الْخُلُودَ وَأَنْتَ غَيْرَ مَخْلُودِ
مُلْكُكَ تَضَعُ لِلزَّمَانِ الْأَنْكَدِ
يَعْلُو الْعُلُوَّ إِلَى الْمَحَلِّ الْأَبْعَدِ

أَفْبَعِدَ وَائِلٍ وَالْمَقْعَعِ بَعْدَهُ
أَوْدَى بِيَعْفَرٍ وَالْمَعَاقِرِ فَانْقَضَى
يَعْلُو عَلَى الدُّنْيَا بَعِزَّةَ قَادِرِ

ويقول عدي بن زيد العبادي في النعمان بن امرئ القيس (1):

- الخفيف -

رَفَّ يَوْمًا وَلِلْهُدَى تَبْصِيرُ
لَكَ وَالْبَحْرُ مُعْرِضٌ وَالسَّدِيرُ
طَةُ حَيٍّ إِلَى الْمَمَاتِ يَصِيرُ

وَتَبَيَّنَ رَبَّ الْخَوْرَثِقِ إِذَا أَشَى
سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةَ مَا يَمَى
فَارَعَى قَلْبُهُ وَقَالَ: وَمَا غِبَى

(1) الشعر والشعراء 248/1.

(2) التيجان في ملوك حمير، ص 121.

(1) الديوان، ص 89.

ويقول لييد بن ربيعة⁽¹⁾:

- الكامل -

لو كانَ حَيٌّ في الحياةِ مُخَلِّدًا في الدَّهْرِ أَلْفَاهُ أَبُو يَكْسُومِ⁽²⁾
والحارثانِ كلاهُما ومُحَرِّقٌ والتُّبَّعَانِ وفارسُ اليَحْمُومِ
والصَّعْبُ ذو القرنينِ أصبحَ ثاويًا بالحنوِ في حَدَثٍ، أُقِيمَ، مُقِيمِ⁽³⁾

البعد الاجتماعي

أخذ الملك في الحياة الجاهلية أبعاداً مختلفة، كان البعد الاجتماعي أحدها، حيث حفلت الحياة الجاهلية بمعان مختلفة في بعدها الاجتماعي، فإذا كان الشعر سجلاً لحياة الناس، ومرآة صادقة لها، فإن مما لا شك فيه أن صورة الملك قد انعكست جلية واضحة في شعرهم ببعدها الاجتماعي أيضاً، فقد أخذ الملك في شعرهم مكانة سامقة حقق فيها صورتين اجتماعيتين، فهو في الأولى رمز الرهبة والسلطة والقوة والبطش، والمكانة العالية، وهو في الثانية رمز الكرم والخير والعطاء والتسامح والرفاهية.

وارتبطت العادات الاجتماعية في الجاهلية بصورة الملك وشخصيته، أعلاها مكانة كانت صورة الكرم الفيّاض، فالملك أولاً إنسان عربي، كان للكرم في حياته قيمة خلقية عالية، حرص الملوك على الاتصاف بها حرص العرب عليها، وقد اشتهروا بها، وهو ثانياً سلطاناً وبحر عطاء زاهر، ملك كريم فيّاض.

والعربي الذي مالت نفسه إلى الكرم، جعل من يتصف به في الذروة من العز والشرف، حيث كان وجود هذه الصفة في شخص ما مدعاة لاقتداء الآخرين به والنسج على منواله، فهي عماد المكانة والمنزلة الرفيعة، فإذا كان الإنسان العربي البسيط يحرص على أن يوصف بها، فلا بد أن يكون الملك الأكثر حرصاً على الاتصاف بها، فهو رأس المجتمع وصاحب الرفعة والمكانة، التي تتناول حتى تصل به إلى مصاف الآلهة.

(1) الديوان، ص244.

(2) أبو يكسوم: ملك من ملوك الحبشة.

(3) الصعب: النعمان، وقيل المنذر بن ماء السماء، وقيل له ذو القرنين الضفيريّين كانتا له. الحنو: بلد.

كان الملك الجاهلي يمارس الكرم من منطلق الإحساس بالمسؤولية تجاه رعيته، فالمجتمع الصحراوي العربي يزرع تحت ثقل الصحراء، وشظف العيش وقلة الموارد، فالأرض قاحلة جدباء، وفسحة الحياة فيها ضيقة، لا عشب ولا نبات، مع قليل من الماء لا يكفي لبث الحياة في الأرض، والموت وحش ينهش بأنيابه الضارية أرواحهم، ويقرع بأصابع لا لحم عليها أقدارهم، وليس سوى رحمة الملك تمتد لتسد رمقهم، وتطرد غائلة الجوع عنهم، وينفخ فيهم روحاً تقوى بهم على الحياة، وكأن بكرم الملك قد صار عرفاً في حياتهم سجله الشعراء بحروف مضمخة بكرم الملوك، ودعاء الفقراء، وإقرارهم بأن رحمة الملك قد وهبت لهم الحياة، ألا ترى أن كرم الملوك هذا قد رفعهم إلى مصاف الآلهة التي تهب الحياة والخير والروح!!!

وكان الشعراء يلتقطون بعدساتهم وعيونهم الثاقبة هذه العلاقة الترابطية بين كرم الملوك والحياة، فسجلوها في أشعارهم وأبدعوا فيها، معجبين، وشاكرين، فهذا حسان بن ثابت يرسم في شعره صورة جليلة لكرم الملوك، وتشبيههم بالبحر جوداً وكرماً، بل يربط الجود والكرم بالملوك، حتى تلهج السنة الناس بذكر الملك إذا ما ذكر الجود، فقال: (1)

- الطويل -

وأفئته بحراً كثيراً فضوله جواداً متى يذكر الخير يزدد

وقد قرن الشعراء صورة الملك بالنهر في تدفقه وعطائه غير المحدودين، ربطوا هذه الصورة بمعلم بارز في الحياة هو نهر الفرات حيث يجري متدفقاً في أرض العراق، فيبعث في صحرائه الحياة كما يبعث الملك الحياة في الناس، وليس عبثاً أن يربط الشاعر بين الملك ونهر الفرات، فكلاهما يهب الحياة، ويطرد الموت، ويتدفق فياضاً، يبعث الخصب، فيقول الشاعر عبيد بن الأبرص في مدحه الملك شرحبيل بن عمرو بن معاوية: (1)

- الكامل -

من سيبه سحُ الفرات وحلمه يزن الجبال ونيله لا ينفذ

(1) الديوان، ص112.

(1) الديوان ق(13)، ص45.

ولأن الملك هو مقصد الفقراء في المحل والجوع، فقد لجأ بعض الشعراء إلى وصف قدور الملوك بأنها سوداء، وسوادها هذا ليس عيباً فيها، بل صفة محببة، وهي كناية عن جود الملك وكرمه، وهي قدور تعطي الأثافي دائماً، والنار تحتها والدخان يليها، فالملوك بكرمهم هم مقصد الجائعين، حيث قال النابغة، مادحاً النعمان: (1)

- الطويل -

له بفناء البيت سوداءُ فحمةٌ تُلَقَّمُ أوصالَ الجُزورِ العَراعرِ
وكم في قوله "تُلَقَّم" من جمال وعمق، فهي تفتح أفواهها باستمرار، كأفواه الجياع، تتلقف عطايا الملوك، لتلتهمها أفواه الجياع، وهي كبيرة أيضاً دلالة على الكرم، تتسع للحموم الجمال الصغيرة، وفي هذا قيمة اجتماعية ارتبطت بواقع العربي وحياة الصحراء، وشدة الجوع وفيض الكرم.

وقد جاء ذكر الشعراء لكرم الملوك من باب التأكيد على هذه الصفة، وأهميتها الاجتماعية كقيمة يعتز الملوك بها، وحاجة يحتاجها الفقراء والمُعوزون، وقد ربط الشعراء بين البعدين الديني والاجتماعي في كرم الملوك، حين جعلوا أفواج الفقراء يطوفون بأبواب الملوك لنيل العطايا، بنصاري يطوفون بيوت الوثن، وكأنهم يحجون إليها، يطلبون عطاياها، كآلهة منحت لهم الحياة، أليس الملوك هم الواهبون؟!، أليسوا هم المعطون؟! ألم ينتظر العربي من الإله أن يهبه ما يحتاج؟!، فما دام الملك هو الواهب، فهو إذاً الإله أو ما يكون في مكانه من التقديس، والإجلال، فهذا الشاعر الأعشى يقول: (1)

- المتقارب -

يَطُوفُ العُفَاةُ بأبوابِهِ كَطُوفِ النَّصارَى ببيئِ الوثنِ
وتزداد قيمة الكرم والجود إذا كان هذا الجود في أيام القحط والجذب، حتى يجعل الشعراء هذا العطاء ربيعاً يقضي على الجذب، مقروناً بالقوة، فيقول الحارث بن حلزة اليشكري: (2)

(1) الديوان، ص116.

(1) الديوان، ص21.

(2) الديوان، ص 44.

- الخفيف -

أَسَدٌ فِي اللَّقَاءِ وَرَدُّ هَمُوسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَمَرَتْ غَبْرَاءُ⁽¹⁾

وكما كان الكرم ركيزة أساسية في البعد الاجتماعي لصورة الملك، فقد كان علو المكانة والعبادة ركيزة أخرى، عبّر عنها الشعراء باللون المناسب لها، فقد صار اللون معبراً عن مكانة الملوك دليلاً عليها، ولا سيما اللونان: الأحمر والأخضر، وصار دلالة على المكانة العالية الرفيعة عند العرب، رمزاً للعز والجاه والثراء عبّر عنه عبيد بن الأبرص فقال⁽²⁾:

- الكامل المرفل -

أَهْلُ الْقَبَابِ الْحُمْرِ وَالنَّعَى مِمُّ الْمُؤَبَّلِ وَالْمُدَامَةِ⁽³⁾

فالقبا ب الحمر والخمرة دليل على شرف الممدوح وعلو مكانته، والشرف والمكانة قيمتان اجتماعيتان، واحتساء الخمرة والذبح أيضاً قيمتان اجتماعيتان، صارتا قيمتين، تؤشران على علو المكانة وارتباطها بالملوك، بل دليلاً واضحاً على ارتباط البعدين الاجتماعي والديني معاً، فالخمرة قيمة اجتماعية في ذلك الوقت يمارسها الملوك ويشاطرون الآلهة شربها، وهي كذلك ارتبطت بالغنى في حياة الناس، هذا الغنى الذي كنى عنه النابغة برقة النعال، كناية عن الرفاهية والنعيم، كما كنى عن عفتهم ونقايتهم من الدنس بطيب الحجرة. فقال مؤكداً علو مكانتهم الاجتماعية وسيادتهم :

- الطويل -

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْرَاتُهُمْ يُحَيِّونَ بِالرِّيحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ⁽¹⁾
تُحَيِّمُهُمْ بِيضُ الْوَلَائِدِ بَيْنَهُمْ وَأَكْسِيَةُ الْإِضْرِيحِ فَوْقَ الْمَشَاجِبِ⁽²⁾
يَصُونُونَ أَجْسَاداً قَدِيمًا نَعِيمُهَا بِخَالِصَةِ الْأُرْدَانِ خُضْرِ الْمَنَاكِبِ

فقد لجأ الشاعر إلى الكناية ليبين مكانة الملك الاجتماعية، فرقة النعل كناية عن الرفاهية

والنعيم، وطيب الحجرة كناية عن العفة والنقاء من الدنس.

(1) الهمس: صوت القدم، شمريت: استعدت.

(2) الديوان، ص125.

(3) المؤبل: الكثير المجتّع المقتنى لا يمسه احد، المدامة: الخمر.

(1) الديوان، ص34.

(2) الاضريح: الخز الأحمر، أو كساء أصفر.

فالملوك أهل نعمة ومكانة عالية تقوم على خدمتهم الإماء البيض الحسان، يلبسون ثياباً بيضاء أكمامها، خضر مناكيها، وهو لباس مخصص للملوك، فهم يجمعون في ثيابهم رمزي الحياة والخلود، الأبيض والأخضر، وهو يوظف هذين اللونين في التأكيد على مكانة الملوك وسيادتهم، وها هو حسان بن ثابت يشيد بالملك جبلة بن الأيهم في مدحه له ولقومه حيث يقول⁽¹⁾:

- الكامل -

بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهُم شُمُّ الأنوفِ مِنَ الطَّرَازِ الأوَّلِ

فلونهم أبيض دلالة على النقاء والصفاء، وشم الأنوف كناية عن العزة والرفعة والإباء، وهي صفة للأنوف ارتبطت اجتماعياً بالعزة وهي قيمة اجتماعية يعتز بها.

وفي تشبيه الشعراء للملوك بالشمس إشارة ودلالة على شرف الملوك ورفعتهم، وسمو مكانتهم، وسيادتهم، هذه المكانة التي كانت ترتفع بهم إلى مصاف الآلهة، في ترابط واضح بين البعدين الديني والاجتماعي. وقد رأى الشعراء أن هذه العزة والمكانة قد وهبها الإله للملوك، حتى قال الأعشى في مدحه لإياس بن قبيصة مؤكداً مكانته وترفعه عن الدنيا وأخلاق العامة⁽¹⁾:

- الطويل -

تَوُمُّ إِيَّاساً إِنَّ رَبِّي أَبِي لَهُ يَدَ الدَّهْرِ إِعْزَةَ وَتَكَرُّمًا
نَمَاهُ الْإِلَهِ فَوْقَ كُلِّ قَبِيلَةٍ أَبَا فَا بَأْ يَا بِي الدَّيَّةِ أَيَّمَا

ومن عناصر البعد الاجتماعي للملوك حمايتهم المستجيرين بهم، وإغاثة الملهوفين، فهي مسؤولية الملوك ودورهم، فهذا طرفة بن العبد يتوجه إلى صاحب السلطان والقوة عمرو بن هند ليرد عليه إبله فيقول⁽²⁾:

- الطويل -

وكان لها جاران قابوس منهما حذارا ولم استرعها الشمس والقمر
وعمرؤ بن هند كان ممن أجارها وبعض الجوار المستغاث به غرر

(1) الديوان ، ص 297.

(1) الديوان، ص 297.

(2) الديوان، ص 160+161.

فَمَنْ كَانَ ذَا جَارٍ يُخَافُ جِوَارُهُ فَجَارَايَ أَوْقَى نَمَّةً وَهُمَا أُبْرَ

فهو قد استجار بأبي قابوس، ولم يستجر بالشمس والقمر على ما فيهما من رمزية الألوهية، وهذا تجسيد لنظرة الجاهليين للملك، فالملك عظيم، وكأنه نزل من السماء، فهو ذو صفات عظيمة، وقد تمثل ذلك في مخاطبة علقمة الفحل الحارث بن جبلة بن أبي ثمر الغساني إذ قال⁽¹⁾:

- الطويل -

وَلَسْتُ لِإِنْسِي وَلَكِنْ لِمَلَائِكِ تَنَزَّلَ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ يَصُوبُ
وهذه المكانة التي جعلت للملك هي التي أوجدت الملوك والسوقة في هذا التمايز الطبقي، وقد أشار إليه امرؤ القيس بقوله⁽²⁾:

- البسيط -

نحن الملوك وأبناء الملوك لنا ملك به عاش هذا الناس أحقاباً
ما يُنكرُ الناسُ منّا حين نملكهم كانوا عبيداً وكنّا نحن أرباباً
والشجاعة بُعد اجتماعي آخر في حياة الملوك، لازمتهم في الجاهلية، فالملك هو الحامي لقبيلته، يسهر هو وتنام القبيلة في أمان واستقرار، ولا تخشى هجمات القبائل الأخرى، لأن ملكها شجاع يرد عنها الغارات بسطوته وقوته وهيئته وقد سجل المهلهل هذا في رثائه لأخيه الملك كليب حيث قال⁽¹⁾:

(1) الديوان ص(83).

(2) الديوان ص 279.

(1) الديوان، ص61.

- الخفيف -

وَكُلَيْبٍ سُمِّ الْفَوَارِسِ إِذْ حَمَّ رَمَاهُ الْكُمَاهُ بِالْإِيفَاقِ (1)
فَارِسٍ يَضْرِبُ الْكَتَيْبَةَ بِالسَّيْفِ دِرَاكًا كَلَاعِبِ الْمَخْرَاقِ (2)

فهو يتلاعب بالأبطال يميناً ويساراً في يسر ودون عناء، كأنهم كرة قماش يتلاعب بها الأطفال، ويمثل هذا مدح الأعشى قيساً بالشجاعة حيث قال (3):

- الكامل -

وَإِذَا تَجِيءُ كَتَيْبَةٌ مَلْمُومَةٌ خَرَسَاءُ تُغْشَى مَنْ يَدُودُ نَهَالَهَا (4)
كُنْتَ الْمُقَدَّمِ غَيْرَ لَابِسِ جَنَّةٍ بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا (5)

فالملك بشجاعته وبأسه، ولعله بما يلقيه في نفوس أعدائه من هيبة لا يرتدي درعاً، كما هي عادة الأبطال في المعارك.

وقد جمعت جليلة زوج كليب في رثائها له بين تاج الملوك ومكانتهم. وشجاعتهم وبأسهم، فقالت (6):

- البسيط -

قَدْ كَانَ تَاجًا عَلَيْهِمْ فِي مَحَافِلِهِمْ وَكَانَ لَيْثٌ وَغَى لِلْقَرْنِ طَرَاحًا
فهو ليث يهاجم عدوه.

وصورة الشجاعة هذه ليست جديدة في الشعر الجاهلي، فهي صفة اتسم بها الملوك جميعاً، وتكررت في أشعار العرب كثيراً، فوصفوا الملك بالليث، وأخي الحرب، والثور الوحشي، وهي

(1) حم: وقع القضاء عليه، الإيفاق: مكان.

(2) دراكاً: أي ضرباً متتابعاً، المخراق: خرقة تقتل يتضارب لها الأولاد.

(3) الديوان ق(3)، ص33.

(4) نهالها: رماحها وسيوفها.

(5) الجنة: الترس أنه يجن صاحبه أي يخيفه ويستره. المعلم: العلامة.

(6) يموت، بشير: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق وتنقيح وشرح عبد القادر محمد مايو، ط1، 1998،

ص 54.

صور مأخوذة من بيئة الشاعر، فهذه الحيوانات هي من بيئة الشاعر، يراها البدوي فتصبح جزءاً من محيطه الاجتماعي. وهي بالنسبة إليه رمز القوة التي لا يجارها أحد.

والعفة جزء من البعد الاجتماعي لصورة الملك، فالملك تأمن جارته على نفسها وتشعر بالأمان، ولا تخاف سطوته رغم قوته، إذ تحكم الملوك عفتهم، هذه المزية التي اتصفوا بها، قال الأعشى مادحاً إياساً: (1)

- المتقارب -

وجارك لا يَتَمَنَّى عَلَيَّ ————— هِ إِلَّا الَّتِي هُوَ يَقْتَالُهَا

ويقول في موضع آخر مادحاً قيس بن معد يكرب: (2)

- المتقارب -

وَمَنْ لَا تُفَزَعُ جَارَاتُهُ وَمَنْ لَا يُرَى حِلْمُهُ مُسْتَعَاراً

وفي سياق الحديث عن البعد الاجتماعي، لا بدُّ لنا من الحديث عن صور من العادات الجاهلية والتي ارتبط بعضها بالقوة والشجاعة، وإن كنا نختلف معه فيها، ولكننا نتحدث بلسان ذلك العصر، ألا وهو عادة الثأر الذي اعتاده الجاهليون، حتى صار قانوناً في حياتهم، حيث لا قانون يحكمهم، ولا سلطة تطالهم في صحراء سوى قانون العادة وسلطة القبيلة، فما بالك حين يكون المحرك للثأر هو القبيلة نفسها بقيمتها ونظامها الاجتماعي، وكأن الثأر واجب على أقرب الناس للقتيل، فهذا امرؤ القيس يقول وهو يسعى جاهداً لأخذ ثأر أبيه: (3)

- الرجز -

تالله لا يذهب شيخي باطلاً
حتى أبيد مالكاً وكاهلاً
القاتلين الملك الجلاجلا

(1) الديوان، ص 165.

(2) الديوان، ص 51.

(3) الديوان ص 134.

خير معدّ حساباً ونائلاً

كما سجل هذه العادة أيضاً المهلهل في رثائه لأخيه الملك كليب حيث قال: (1)

- الوافر -

حُذِّ العَهْدَ الأَكِيدَ عَلَيَّ عُمْرِي بتركي كل ما حوت الديارُ
وهجري الغانياتِ وشربَ كأسٍ ولبسي جبّةً لا تستعارُ
والأَنْ تبيدَ سرأةً بكرٍ فلا يبقى لها أبداً آثارُ

ويبدو في هذه الأبيات جلياً ما للثأر من أبعاد اجتماعية، فما بالك حين يكون القتل ملكاً؟! لا بدُّ أن يكون لثأره صدى أوسع، وعمقاً أكبر، حتى إن المهلهل قد ألزم نفسه اتباع بعض عادات الجاهلية، من هجر النساء والخمر والطيب، فهي ضرب من النعم لا تليق بحزين موتور، أو هي تلهي عن الأخذ بالثأر، هذا الثأر الذي يضطرم في داخل الشاعر بقدر مكانة الملك وعظمته! وقد استبدت بهم هذه العادات حتى خيل إليهم أنه يخرج من رأس القتل الذي لم يؤخذ بثأره طائر عند قبره يرفرف ويصيح طالباً السقيا من دم القاتل، كما وتعكس عادة جاهلية أخرى وهي الثأر للقتيل من القاتل (2).

ولم تقتصر المطالبة بالثأر على الشعراء بل امتدت إلى الشعارات أيضاً لأنها عادة تأصلت في نفوسهم، وزادها قوة كون القتل ملكاً، فقالت أسماء بنت ربيعة التغلبية في الملك كليب: (3)

- الرمل -

يا بني تغلب لا تتأخروا واطلبوا ثأراً مليك الجحفل
وارتبط بالبعد الاجتماعي أيضاً صورة الملك الظالم، وقد حاول بعض الشعراء تسجيل الظلم الاجتماعي الواقع عليهم من الملوك. هذا الظلم الذي يقع بالقوم - كما يرى شعراؤهم -

(1) الديوان ص 32.

(2) البياتي، عادل جاسم: رثاء الأبطال في الأدب العربي قبل الإسلام، مجلة آداب المستنصرية، العدد السادس، مطبعة الأديب البغدادية، 1982، ص 227. وعمران، روجي ثروت علي: القبر في الشعر الجاهلي، ص 48.

(3) الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، 2001، أسماء بنت ربيعة التغلبية.

دون مبرر، أو بالشاعر نفسه، لسان القبيلة والمنافح عنها، وكم يورث الظلم من مرارة وألم في النفس.

فالنابغة يعاقبه النعمان على شيء لم يرتكبه هو، بل ارتكبه غيره، حيث يسجل هذا الظلم قائلاً: (1)

- الطويل -

لكلّفتني ذنّبَ امرئٍ وتركتهُ كذي العُرِّ يَكْوَى غيره، وهو راتعُ
والشاعر يوظف الكناية والمثل العربي "كذي العُرِّ يَكْوَى غيره، وهو راتع" ليعبر عن أثر الظلم ومرارته، وارتباطه بالحالة الاجتماعية، وهذا يعكس صورة اجتماعية قائمة، وظلماً سارياً في المجتمع، وافتقاراً واضحاً للعدالة.

وتبدو صورة الظلم هذه أيضاً في قول الشاعر المتلمس الضبعي في الملك عمرو ابن هند: (2)

- الطويل -

جزاني أخو لَحْمٍ على ذات بيننا جِزَاءَ سِنْمَارٍ وما كانَ ذا ذنْبِ
ويبدو الإحساس بالظلم واضحاً في قول عدي بن زيد في الملك المنذر وقد كافأه المنذر على معرفته في مساعدته على اعتلاء كرسي الملك بالسخط والغضب، فقال: (3):

- الطويل -

أبا المنذر جَازَيْتَ بِالوُدِّ سُخْطَةً فَمَاذَا جَزَاءُ المَبْغُضِ المَتَبْغُضِ
فجَازَيْتَهُ فِي ذَا المِثَالِ كَرَامَةً وَلَسْتُ لِشَيْءٍ بَعْدُ بِالمُتَعَرِّضِ
وتتبدى صورة الظلم كذلك كجزء من البعد الاجتماعي للملك في أخذ الإتاوة من العامة، فقد رأى الشعراء في أخذ هذه الإتاوة ظلماً للعامة لما فيها من تعد على أموالهم، وسلب لحقوقهم،

(1) الديوان، ص126.

(2) الديوان، ص69.

(3) الديوان، ص136.

وارهاق لهم، وتهديد لأمنهم، وقد عبر عن هذا الشاعر يزيد بن الخدّاق الشنّي مخاطباً النعمان بن المنذر (1):

- الطويل -

أَكُلُ لَنَيْمٍ مِنْكُمْ وَمُعْلَهَجٍ يَعُدُّ عَلَيْنَا غَارَةً فخبوساً (2)
ألا ابنَ الْمُعَلَى خَلْتَنَا وَحَسِبْتَنَا صراريّ نُعْطِي الماكسين مُكوساً (3)

وقد برز هذا الظلم من خلال هذه الصورة البليغة، حيث يتقابل فيه بعدان اجتماعيان متناقضان، فبقدر ما يشعر به أخذ الإتاوة من القوة والجبروت للأخذ، فهو صاحب الأمر والنهي، بقدر ما تبدي مرارة الإحساس بالظلم وأثره الاجتماعي، حتّى ضاقت النّاس من هذا الظلم الذي يبرز لهم في كل جانب من جوانب حياتهم الاقتصادية، مما دفع النّاس للتذمر حيناً، والثورة حيناً آخر.

ويسجل هذا التذمر من الإتاوة جابر بن حنيّ التغلبي فينتزع صورته هذه من أسواق

العراق فيقول:

- الطويل -

وفي كلّ أسواق العراق إتاوة وفي كلّ ما باع امرؤ مَكْسُ دِرْهَمٍ (4)
ألا تستحي منّا ملوكٌ وتتقي محارمنا لا يَبُوؤُ الدَّمُ بالدّم

فهذا الظلم يطارد النّاس في أسواق العراق، ويأخذ الإتاوة على كل بيع فيها، حتّى بدت

الملوك كأنها لا تخجل من فعل دنيئة كهذه، والشاعر يهدر الدم دفاعاً عن نفسه.

(1) المفضليات، ص298.

(2) معلهج: الذي ليس بخالص ولا كريم. الخبوس: الظلم.

(3) الصراري: الملاحون يقال للواحد والجمع. الماكس: الجابي.

المكوس: جمع مكس، وهو ما يأخذه الماكس.

(4) المفضليات، ص211.

وتبرز على هامش البعد الاجتماعي للملك بعض العادات الجاهلية التي ارتبطت بالعلاقة بالملوك، فالشاعر يبيت وقد غضب عليه الملك كمن لدغته أفعى، ويقول النابغة معتذراً للنعمان بن المنذر:

- الطويل -

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَنْبِيْلَةٌ من الرُّقْشِ، في أُنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ⁽¹⁾
يُسَهِّدُ من لَيْلِ التَّمَامِ، سَالِيْمُهَا، كَحَلِي النِّسَاءِ، في يَدِيهِ، مَقَامِعُ

فالشاعر كمن لدغته أفعى، يهذي، وليله الطويل، يعلق الحلي والتمايم - على عادة الجاهلية - بطرد هذا السم من دمه، فكلما أخرجت الحلي صوتاً أفاق النائم فلم يسر - كما يعتقدون - السم في دمه وهي طقوس كانت تمارسها العرب في علاج اللدغ.

وفي المشهد الأخير من البعد الاجتماعي نرى الملك يهب الأمل لمن يئس، فبدم الملوك - كما زعموا- تستجلب البركة، لذا تقطع المرأة العاقر أو المقلاة دم الملك حين قتله، استجابة لهذه البركة، بحيث تنتقل الروح من جسد الملك إلى رحم الأم، وقد تكون هذه الممارسة السحرية من قبيل الاعتقاد بتناسخ الأرواح، وانتقالها من الأموات إلى الأحياء⁽²⁾، ويسجل ذلك بشر بن أبي خازم فيقول⁽³⁾:

- الطويل -

تَظَلُّ مَقَالِيْتُ النِّسَاءِ يَطَّأْنَهُ يَقْلُنَ أَلَا يُلْقَى عَلَى المَرءِ مِئْزَرٌ⁽⁴⁾

فالعاقرة أو المقلاة "تتوطأ الرجل السيد عند قتله مباشرة، لذلك قال: "ألا يلقي على المرء مئزر"، لأنه عريان، والنساء يطأنه ويستحين من عريه، وفي هذه الحالة تنتقل الروح فوراً من الجسد الفاني إلى الجنين في أحشاء المرأة"⁽⁵⁾.

(1) الديوان، ص122+123.

(2) أبو سويلم، أنور: دراسات في الشعر العربي، ص93

(3) الديوان، ص88.

(4) المقاليت: جمع مقلات وهي المرأة التي لا يعيش لها ولد، من القلت وهو الهلاك. يطأنه: أي يطأن ابن ضياء بعد أن قتل.

(5) أبو سويلم، أنور: دراسات في الشعر العربي، ص93.

الخاتمة

احتل الملك في فكر الأمم القديمة مكانة عالية، فكان بالنسبة لهم إلهاً أو ممثلاً للإله. فقدسوه، ودانوا له بالولاء، وخلعوا عليه بعداً أسطورياً، أفاد منه الملوك في السيطرة على ثروات شعوبهم، وطاعة هذه الشعوب لهم.

ولم تختلف صورة الملك في الفكر الجاهلي عن غيره من الأمم، بل كانت امتداداً لها فقد وجدناها قد خرجت من دائرة البشر لتقترب من صورة الإله، فقد نظروا إليه نظرة إجلال ورهبة، بحكم قدسية المولد وقدسية الحكم.

قدست الملوك تقديساً عظيماً، وكان من مظاهر هذا التقديس: أنهم كانوا يخاطبون بالأرباب، كما كان يستسقى بهم، ويوقف على أبوابهم، ويطاف بها، بل ولهم تحايا تختلف عن غيرهم.

والعرب في هذا يلتقون مع غيرهم من الأمم الأخرى، بل تكاد تكون هذه الصورة، انعكاساً لنظرة الأمم الأخرى، ويبدو أن الإحساس الداخلي لبني البشر، أوجب أن يكون هناك سيد، أو ملك يدينون له بالولاء، له قدسية خاصة تميزه عن غيره، يرفعه إليه العامة، فهو يمثل القوة أمام إحساسهم بالضعف، ويمثل العطاء أمام جذب الصحراء، ويمثل الأمن والأمان حين تخلو حياتهم منه.

كان الملك يمثل جانبيين في حياة الجاهليين فهو في الجانب الأول رمز الرهبة والسلطة والقوة والبطش والمكانة العالية، وهو من جانب آخر رمز الكرم والخير والعطاء.

نوع الشعراء في رسم صورة الملك المقدسة وكانت صورهم مستمدة من واقع حياتهم.

والتاريخ البشري سلسلة متصلة الحلقات، والفكر الجاهلي حلقة في هذه السلسلة، لا يمكن

لأحد المرور عليها دون بحث ودراسة.

والشعر الجاهلي كما هو معروف مرآة الحياة الجاهلية. حملها في ثناياها وسجل دقائقها، وحفل بالإضاءات والدلالات والرموز التي تبين مكانة الملك، وعكس كذلك ما ساد من انفعالات وقيم وأفكار.

ولم نجد فيما تناولناه من أشعار شاعرا جاهلياً يفرد غرضاً شعرياً للحديث عن ملك بصفته ملكاً، بل جاء الحديث عن الملوك في قصائد الشعراء ممزوجاً بالقضايا الحياتية الأخرى، فذكر في المديح، والرثاء، والهجاء، والفخر... إلخ.

وقد عكس شعر الجاهليين الذي تحدث عن الملك أبعاداً مختلفة "كالبعد الديني، والبعد الاجتماعي، والبعد النفسي، فجاءت أشعارهم زاخرة بالمعتقدات الدينية، والقصص من المورث القديم، فصوروا الملك بالشمس والقمر بمراحله المختلفة (الهلال والبدن)، وهي معتقدات قديمة في الفكر الإنساني، وجدت صداها في الفكر الجاهلي، ولهذا نجد أن حياة الجاهليين لم تكن مغلقة، بل شاركوا الأمم الأخرى نموها وتطورها ومعتقداتها. فكان الشاعر الجاهلي يلبي نداء أمومة الصحراء ابناً وفيماً لبيئته، راسماً صورة الملك في شعره. إنعكاساً للتماس بين البيئة والشاعر.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الزبيدي، مرتضى: **تاج العروس**، 10 مج، بنغازي، دار ليبيا. (د.ت).
- ابن منظور، محمد بن مكرم: **اللسان**، 13 مج، بيروت، دار صادر، 1956.
- أنيس، إبراهيم، وآخرون: **المعجم الوسيط**، ط2. (د.ت)
- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف: **الكامل في التاريخ**، 13 مج، بيروت، دار الفكر، 1978.
- اسليم، فاروق أحمد: **الانتماء في الشعر الجاهلي**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998.
- الآلوسي، محمود شكري: **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، 3 مج، عني بشرحه وتصحيحه وضبطه: محمد بهجة الأثري، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية. (د.ت).
- الأصفهاني، حمزة بن الحسن: **تاريخ سني ملوك الأرض و الأنبياء**، ط 3، 1961.
- الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب: **الأصمعيات**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام محمد هارون، ط 7، دار المعارف بمصر، 1993.
- الأعشى، ميمون بن قيس: **الديوان**، شرح وتعليق: محمد حسين، مكتبة الآداب، المطبعة النموذجية. (د.ت).
- امرؤ القيس: **الديوان**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، دار المعارف. (د.ت)
- الأندلسي، ابن سعيد، **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**، 2 مج، تحقيق: نصرت عبد الرحمن، عمان، الأردن، مكتبة الاقصى، 1982.
- الأندلسي، أحمد بن محمد بن عبد ربه: **العقد الفريد**، 8 مج، تحقيق: عبد المجيد الترخيني، بيروت، لبنان، دار الكتب العربية، 1983.
- أوس بن حجر: **الديوان**، تحقيق وشرح: محمد يونس نجم، بيروت، دار صادر، 1960.

- إيمار، أندريه وأبوايه، جانين: **تاريخ الحضارات العام**، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: فريد داغر، فؤاد أبو ريحان، ط 3، بيروت، باريس، منشورات عويدات، 1993.
- بابتي، عزيزة فوال: **معجم الشعراء الجاهليين**، دار صادر، بيروت، ط1، 1998.
- باقر، طه: **مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة**، شركة التجارة والطباعة المحدودة، 1995.
- بشر بن أبي حازم: **الديوان**، تحقيق: عزّه حسن، ط 2، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1972.
- البطل، علي: **الصورة في الشعر الجاهلي حتى آخر القرن الثاني الهجري**، ط 1، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1980.
- بوتيرو، جان: **بلاد الرافدين، الكتابة، العقل، الآلهة**، ترجمة: الأب ألبير أبونا، ط1، العراق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، 1990.
- البياتي، عادل جاسم: **الأسطورة والرمز في الأدب الجاهلي من كتاب الشعر والمجتمع**، مختارات من الأبحاث المقدمة لمهرجان المربد الثالث، العراق، منشورات وزارة الإعلام، 1974.
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب: **شرح ديوان الحماسة**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، 1938.
- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل: **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة للطبع والنشر، مصر، 1965.
- الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر: **البيان والتبيين**، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد، ط2، مكتبة الخانجي بمصر، 1961.
- : **الحيوان**، 7 مج، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط3، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1969.

حاتم الطائي: الديوان، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتّى، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 1994.

الحارث بن حلزة: الديوان، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان. (د.ت).

جاد المولى، محمد أحمد وآخرون: أيام العرب في الجاهلية، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية. (د.ت).

أبو حاقّة، أحمد: فن المديح وتطوره في الشعر العربي، ط1، بيروت، دار الشرق الجديد، 1962.

حسان بن ثابت: الديوان، القاهرة، مطبعة السعادة. (د.ت).

حسن، حسين الحاج: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1998.

الحسين، قصي: أنثربولوجية الصورة والشعر العربي قبل الإسلام، ط2، بيروت، الأهلية للنشر والتوزيع، 1993.

الخطيئة: الديوان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1993.

حنون، نائل: عقائد ما بعد الموت في حضارة بلاد وادي الرافدين القديمة، العراق، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة. (د.ت)

الحوت، محمد سليم: في طريق الميثولوجيا عند العرب، دار النهار، ط3، بيروت، لبنان، 1983.

الهوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية، بيروت، دار النهار للنشر، 1978.

الحوفي، أحمد محمد: الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط4، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، الفجالة. (د.ت)

الخرنق بنت بدر بن هفان: الديوان، تحقيق: حسين نصار، ط2، بالقاهرة، دار الكتب المصرية، 1996.

- الخطيب، عماد علي سليم: الصورة الفنية في المنهج الأسطوري لدراسة الشعر الجاهلي، دراسة تحليلية نقدية، ط1، عمان، مكتبة الكتاني والمكتبة الأدبية، 2002.
- الخطيب، محمد: الخلود في حضارة مصر القديمة، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1991.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي: الإشتقاق: تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون، ط2، بغداد-العراق، مكتبة المثني، 1979.
- دلو، برهان الدين: حضارة مصر والعراق، التاريخ الاقتصادي، الاجتماعي الثقافي والسياسي، بيروت، لبنان، ط1، دار الفارابي، 1989.
- الدهان، سامي: المديح، ط4، القاهرة، دار المعارف، 1980.
- زايد، عبد الحميد: الشرق الخالد، دار النهضة العربية. (د.ت)
- الزركلي، خير الدين: الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، 8ج، 1980م.
- زكي، أحمد كمال: الأساطير، دراسة حضارية مقارنة، ط2، بيروت، لبنان، دار العودة، 1979.
- زهير بن أبي سلمى: الديوان، تحقيق وشرح: كرم البستاني، بيروت، دار صادر 1960.
- الزواوي، خالد محمد: الصورة الفنية عند النابغة الذبياني، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، 1992.
- أبو زيد، علي إبراهيم: طرفة بن العبد، شاعر البحرين في الجاهلية، ط1، مؤسسة عزالدين، 1993.
- زيدان، جرجي: العرب قبل الإسلام، راجعه وعلق عليه: حسين مؤنس، دار الهلال.
- السجستاني، أبو حاتم: المعمرين والوصايا، تحقيق: عبد المنعم عامر. (د.ت)

سليم، أحمد أمين: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت، دار النهضة العربية، 1989.

سليمان، عامر، والفتيان، أحمد مالك: محاضرات في التاريخ القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (د.ت)

السواح، فراس: الأسطورة والمعنى، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ط1، 1997.

: لغز عشتار، دار علاء الدين، ط6، دمشق، 1996.

أبو سويلم، أنور: دراسات في الشعر الجاهلي، ط1، بيروت، دار الجيل، 1987.

: المطر في الشعر الجاهلي، ط1، عمان، دار عمار للنشر، 1987.

شرف الدين، عمر: الشعر في ظلال المناذرة والغساسنة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

الشطبي، عبد الفتاح عبد المحسن: شعراء إمارة الحيرة في العصر الجاهلي، دار قباء للنشر والتوزيع، 1998.

الشمس، ماجد عبد الله: الحضارة والميثولوجيا في العراق القديم، ط1، دمشق، سورية، دار علاء الدين للنشر والتوزيع، 2003.

الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، الكتاب الأول، ط1، دار الساقى، 1996.

الشوري، مصطفى عبد الشافي: الشعر الجاهلي - تفسير أسطوري، ط1، الشركة المصرية العالمية والنشر، لونغمان، 1996.

: شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية، ط1، الشركة

المصرية العالمية للنشر، لونغمان، 1995.

شيخو، لويس: شعراء النصرانية قبل الإسلام، ط3، بيروت، لبنان، دار المشرق، 1967.

الصائغ، عبد الإله: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة،
1986.

صفوت، أحمد زكي: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، بيروت، لبنان، المكتبة
العربية. (د.ت)

صقر، جوزف: قصة وتاريخ الحضارات العربية، بيروت، لبنان، دار أحياء التراث العربي.
(د.ت).

الضبي، المفضل بن محمد يعلى: المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبدالسلام
محمد هارون، ط 8، القاهرة، دار المعارف، 1993.

ضيف، شوقي: العصر الجاهلي، ط 7، القاهرة، دار المعارف، 1960.

طرفة بن العبد: الديوان، تحقيق: درية الخطيب، ولطفي الصّقال، ط 2، بيروت، لبنان، المؤسسة
العربية، 2000.

الطُفيل الغنوي: الديوان، تحقيق: حسّان فلاح أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 1997.

طليمات، غازي، والأشقر، عرفان: الأدب الجاهلي، قضاياها، أغراضها، أعلامها، فنونه، ط1،
دار الفكر المعاصر - لبنان، ودار الفكر، دمشق، سورية، 2002.

عبدالرحمن، نصرت: الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، عمان، الأردن، مكتبة الأقصى،
1976.

عبدالواحد، محمود عباس: فن الاعتذار الشعري تاريخ واتجاهات، دار الهداية، 1991.

عبيد بن الأبرص: الديوان، تحقيق وشرح: حسين نصار، ط1، القاهرة، مطبعة مصطفى اليابي
الحملي، 1957.

عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب عند الجاهلية ودلالاتها، ط1، بيروت، العربية للنشر
والتوزيع، 1994.

عدي بن زيد العبادي: الديوان، حققه وجمعه: محمد جبار المعبيد، بغداد، وزارة الثقافة والإرشاد، 1964.

علقمة بن عبدة الفحل: شرح ديوان، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي، 1993.

علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 10 مج، دار العلم للملايين، بيروت، 1970.

علي، فاضل عبد الواحد: حضارة العراق، بغداد، 1985.

أبو علي، محمد توفيق: صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية، ط1، 2001.

عمرو بن قميئة: الديوان، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطية، ط1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1994.

عمرو بن كلثوم: الديوان، جمعه وحققه وشرحه: إميل بديع يعقوب، ط1، دار الكتاب العربي، 1991.

عنتر بن شدّاد العبسي: الديوان، تحقيق: بدر الدين حاضري، ومحمد حمامي، ط1، بيروت، دار الشرق العربي، 1992.

عيّاد، شكري: البطل في الأدب والأساطير، ط2، دار المعرفة، 1971.

فرانكفورت، هنري: ما قبل الفلسفة، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، دار مكتبة الحياة، 1960.

فرويد، سيجموند: الطوطم والتابو، ط1، دمشق، دار الحوار للنشر والتوزيع، 1983.

فريزر، جيمس: أدونيس، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1957.

ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم: الشعر والشعراء، 2 مج، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، القاهرة، دار الحديث، 2003.

- القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب، **جمهرة أشعار العرب**، بيروت، دار صادر، 1963.
- كونتينو، جورج: **الحياة اليومية في بلاد بابل و آشور**، ترجمة وتعليق: سليم طه التكريتي وبرهان عبد التكريتي، ط2، 1986.
- ليبد بن ربيعة: **الديوان**، قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتي، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، 2004.
- الماجدي، خزعل: **إنجيل بابل**، ط1، منشورات الأهلية: 1998.
- : **إنجيل سومر**، ط1، منشورات الأهلية: 1998.
- : **الدين السومري**، ط1، دار الشروق للتوزيع والنشر، 1998.
- : **الدين المصري**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1999.
- : **متون سومر**، ط1، منشورات الأهلية، 1998.
- : **المعتقدات الأمورية**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2002.
- المتلمس الضبّعي: **الديوان**، شرح وتحقيق: محمد التونجي، ط 1، بيروت، لبنان، دار صادر، 1998.
- المتقّب العبدّي، شرح ديوان المتقّب العبدّي، جمعه وحققه وشرحه: حسن محمد، ط1، بيروت، دار صادر، 1996.
- مسعود، ميخائيل: **الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام**، ط1، دار العلم للملايين، 1994.
- المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسن بن علي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، 1965.
- ابن منبه، وهب: **التيجان في ملوك حمير**، تحقيق ونشر: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية، الجمهورية العربية، ط1، صنعاء، 1347 هـ.

المهلهل بن ربيعة: **الديوان**، شرح وتحقيق: أنطوان محسن القوّال، ط 1، بيروت، دار الجيل، 1995.

: **الديوان**، شرح وتحقيق: طلال حرب، بيروت، دار صادر، 1996.

الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم: **مجمع الأمثال**، 2 مج، حققه وفصله: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، 1992.

النابغة الجعدي: **الديوان**، تحقيق: عبدالعزيز، رباح، ط1، دمشق، منشورات المكتب الإسلامي، 1964.

النابغة الذبياني: **الديوان**، شرح وتعليق: حنا نصر الحتي، ط2، دار الكتاب العربي، 1996.

أبو ناجي، محمود حسن: **الرثاء أو جراحات القلوب**، ط1، بيروت، دار مكتبة الحياة، 1981.

نعمة، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة**، بيروت، دار الفكر اللبناني، 1994.

النعمي، أحمد إسماعيل: **الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام**، ط 1، القاهرة، دار سينا للطباعة والنشر، 1995.

نيلسون، ديتلف: **التاريخ العربي القديم**، ترجمة: فؤاد حسنين علي، ود. زكي محمد حسنين، مكتبة النهضة المصرية، 1958.

اليقوي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب: **تاريخ اليعقوبي**، أمج، بيروت، دار صادر، 1960.

يموت، بشير: **شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، تحقيق وتنقيح وشرح: عبدالقادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، 1998.

الرسائل الجامعية

سلمان، كمال فؤاد أحمد: **الشمس في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2004.

صالح، محمود سمارة محمد: **الجبل في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 1999.

عمران، روجي ثروت علي: **القبر في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القدس، 2001.

أبو عون، أمل محمود عبدالقادر: **اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي**، شعراء المعلقات نموذجاً (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2003.

عيسى، عبد الخالق: **رثاء الممالك والملوك في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة النجاح الوطنية، نابلس 1998.

غيث، خالد يوسف محمد: **الطقوس في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القدس، فلسطين، نابلس 2005.

ملحم، إبراهيم: **الليل في الشعر الجاهلي**، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة القدس، 2006.

الدوريات

الديك، إحسان: **الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي**، مجلة جامعة القدس المفتوحة، ع2، 2002.

الديك، إحسان: **صدي عشتار في الشعر الجاهلي**، مجلة جامعة النجاح للأبحاث عمادة البحث العلمي، حزيران، 2001.

البياتي، عادل جاسم: **رثاء الأبطال في الأدب العربي قبل الإسلام**، مجلة آداب المستنصرية، تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية، المستنصرية، ع6، مطبعة الأديب البغدادية، 1982.

الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، 2001.

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

King in Poetry Ignorant

Prepared by

Mohayya Abd-Raheem Khader Nassef

Supervised by

Dr. Ihsan Addik

*Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master
of Arabic Language, Faculty of Graduate Studies, at An-Najah National
University, Nablus, Palestine.*

2006

King in Poetry Ignorant
Prepared by
Mohayya Abd-Raheem Khader Nassef
Supervised by
Dr. Ihsan Addik

Abstract

The current research focused on Aljahleon poems and kings "King in Poetry Ignorant". The study included an introduction and three chapters. The introduction presents the reasons behind the selection of this topic and the main literature recourse used. The first chapter included an introduction that discusses the definitions and linguistic meanings of the word king in ancient languages in addition to two main streams, the first discusses king in human heritage. I found that kings were looked at and considered as holly as God. This gave them the power to role nation's heritage. In the second stream "Kings in Aljahleon heritage" I did not find that Aljahleon were different in their point view from other nations towards the kings and concluded that humans in general are in need to the power that control the universe, a power that they respect and obey and kings were that power that provide them with security.

The second chapter handled kings in poetry ignorant and I found that poets included kings in their poems, but kings were a part of the poem and were mentioned in contemporary, praise and defamation and other social aspects of life representing a honest view of Aljahleon life.

The third chapter represents the king's images in the poetry ignorant and found three dimensions for this image a religious dimension in which king was thought of as God and in other cases considered as the sun, moon and others. The second image was a psychological dimension of the poets through their views of the good and evil of kings. The third dimension was

the social aspect and in this respect, the king has two images; the first considered the king as a symbol of power and oppression and high ranking and the second as a symbol of giving, good, forgiving and welfare and both of these images reflected in an honest way the life of Aljahleon.

In conclusion, I summarized the result of the study and ended with a list of used references.

Judgments and the lexical meanings. his defines the original poetry and poem which appeared in an attracting way by the end of the third Hijri century and was at the top interest of the language sciences. The current study focused on collecting as much as possible of the poem of this period and I followed during this study two styles: a historical through citation of this phenomenon and the central subjects concerning linguistic, grammatical and scientific; and an analytic descriptive method that was used in the analysis of few poems with respect to its styles, roles and judgments. In addition to that, analysis included the lexical meanings especially those contradict the linguistic features. The study was divided into six chapters and ended with a conclusion included the results of the study. The first chapter discussed the phenomenon of the of the poem of "Al-mtoon", its origin, extensions, and the most important figures of that poem. The second chapter discussed meanings and words, common moral and the verbal ones, and those that share the same common verbal sense and differ in meanings including the opposites. The third chapter included the begging's of the riddles and their types including the linguistic and grammatical in addition to those poets who wrote riddles. The forth chapter was allocated to the grammatical systems and analyzed what is contradictory with the language rules. The fifth chapter was dedicated to poems related to the religion sciences, which is usually written by scholars

and includes jurisprudence judgments on the basis of one of the doctrines. Chapters six was a collection of various related topics in order complete and tackle the various aspects of the poem of "Al-mtoon" and included poems of eloquence, medicine and history.